الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية

صورة وادي سوف في كتابات إيزابيل إبرهاردت
(1900-1901م)

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة
آمنـــة كحيلي

الأستاذ المشرف
أ.د : محمد السعيد عقيب

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتساب
علـــي غنابزيـــة	أ. د	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي
محمد السعيد عقيب	أ. د	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي
موسى بن موسى	د	عضوا ومناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي

السنة الجامعية: 1438-1439هـ / 2017-2018م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ

الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

العنكبوت الآية20 .

شكر و عرفان

لله الشكر من قبل ومن بعد على فضله علي بنعمة مواصلة الدراسة والتعليم.

جزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ محمد السعيد عقيب على اقتراحه موضوع المذكرة و الإشراف عليها و تحمل بعضا من مشقة البحث العلمي معي فقد غمرني بكرم توجيهاته وتصويباته .

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لكافة أساتذة قسم التاريخ بجامعة الشهيد حمه لخضر على ما بذلوه من علمهم طيلة فترة التكوين في الماستر.

وحتى لا أنسى فضل عمال مكتبة دار الثقافة علي ، الذين ساعدوني ببعض مراجع الموضوع فالشكر لهم موصول.

و شكري و تقديري أيضا للأستاذ عبد القادر ميهي على الإضافة للتاريخ المحلي بترجمة عديد الكتابات الأجنبية حول وادي سوف وخاصة كتابات إيزابيل إبرهاردت.

آمنة كحيلي

الإهـــداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

" وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " الإسراء الآية 24

إلى من ضحيا وصبرا وتحملا قساوة الأيام

وعلماني الإخلاص والصدق في الوصول إلى الأهداف النبيلة "أمي الحنونة وأبي الغالي"

إلى من اتخذ شعاره طيلة سنتين صبر جميل والله المستعان في سبيل أن أبلغ حلمي ، شريكي وسندي في الحياة، ورفيق دربي في السراء والضراء زوجي مراد

إلى إخوتي وأخواتي وأبنائهم

إلى عائلة زوجي أدامها الله بيتا لي

إلى كل من قدم لي يد العون وشجعني لإتمام هذا العمل، وخاصة زملائي بمصلحة التراث بمديرية الثقافة الوادي

إلى كل طلبة دفعة ماستر تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر للموسم 2018/2017 .

وإلى الروح التي شاركتنا عشقنا للجزائر أرضا وشعبا ، إيزابيل إبرهاردت .

آمنة كحيلي

ملخص البحث

ملخص الموضوع

تهدف الدراسة إلى إبراز صورة وادي سوف في مطلع القرن العشرين من خلال ما دونته الرحالة والكاتبة إيزابيل إبرهاردت في مذكراتها وقصصها ورسائلها الشخصية المترجمة للعربية. وتتمحور إشكالية الدراسة حول كيفية تصوير إيزابيل إبرهاردت لوادي سوف جغرافيا وبشريا وما مدى موضوعيتها؟ و الدراسة مقسمة إلى مدخل وثلاثة فصول، تناولت في المدخل: وادي سوف جغرافيا وتاريخيا في مطلع القرن العشرين، و يتناول الفصل الأول: سيرة الكاتبة إيزابيل ورحلتها إلى سوف، والدوافع من ورائها، متتبعة خط سير رحلتها. أما الفصل الثاني فقد خصصته لأوضاع وادي سوف الاجتماعية من خلال كتابات إيزابيل إبرهاردت. أما الفصل الثالث فيعالج الأوضاع الاقتصادية والثقافية في سوف من خلال كتابات إيزابيل. وقد دعمت بحثي بملاحق لتوضيح الفكرة من هذا العمل. وختمت البحث بمجموعة من استنتاجات .

Résumé

L'étude vise à mettre en évidence l'image de Oued Souf au début du XX^{è} siècle à travers les écrits de l'écrivain et voyageur Esabelle Eberhardt dans ses mémoires, récits et messages personnels traduits en arabe. Le problématique de l'étude se concentre sur la façon oŭ Esabelle Eberhardt a représenté Oued Souf géographiquement et humainement , et à quel point est-il objectif?

L'étude est divisée en une introduction et trois chapitres , j'ai traité dans l'introduction : Oued Souf géographiquement et historiquement au début du XX^{è} siècle. Le premier chapitre traite la biographie d'Isabelle et de son voyage vers Souf, ainsi que les motifs de son voyage. Le deuxième chapitre est consacré aux conditions sociales de Oued Souf à travers les écrits d'Esabelle Eberhardt. Le troisième chapitre traite les conditions économiques et culturelles d'Esabelle à travers ses écrits. j'ai soutenu ma recherche par des suppléments pour illustrer l'idée de ce travail. Enfin, J'ai conclu la recherche avec une série de conclusions.

مقدمة

مقدمــة

برزت بالجزائر في السنوات الأخيرة ظاهرة الاهتمام بترجمة الكتابات الأجنبية الفرنسية كنوع آخر في ثقافة الكتابة والتأليف، وهذا دليل واضح على الوعي اللافت عند المثقف الجزائري بأهمية تناول تلك الكتابات والمدونات سواء عن طريق الترجمة أو الدراسة أو النقد قصد استجلاء صورة الجزائر عند الأجنبي – **المستكشف السائح المغامر أو المستكشف المحتل**–. ويتضح ذلك الوعي في الجهود الكبيرة والتي رغم قلتها وتشتت موضوعاتها تحاول تفكيك المدونات الكثيرة التي كتبت عن الجزائر شعبا وتاريخا وجغرافية من طرف هؤلاء.

أما بالنسبة للمحتل فهي مدونات أنتجتها المؤسسة الاستعمارية إما تمهيدا للغزو أو كانت مرافقة لعملية الاحتلال سواء كانت مبررة له أو مدافعة عنه ومكرسة إياه واقعا ومصورة له حقيقة لا تقبل النقاش.

ولقد كانت تلك الكتابات الاستعمارية في أكثرها، متحيزة، عنصرية، مستعلية إذ وبقدر ما قدمت المُحتل الوافد عنصرا إيجابيا، بقدر ما عملت على تغييب ابن الأرض، وتجريده من مواطنته، واصفة إياه بـ"**الأهلي**"، "**العربي**"، "**المسلم**"... وهي تسميات إثنية نابعة من روح التعصب الاستعماري.

إن كثيرا من الكتابات الكولونيالية، عملت على تفصيل صورة الجزائريين بشكل استعلائي فرسمت مظهرهم، أخلاقهم، أعراقهم، ونفسياتهم، وكذلك علاقاتهم، هذه الصورة التي أظهرتهم خارج مسار الحضارة والتطور الذي تعرفه البشرية ما يبيح لهم التعامل معهم وكأنهم غنيمة من الغنائم البشرية، يتصرف بها وفق معادلة الغالب بالمغلوب.

ما ذكرناه سابقا لا يعني أن جميع الكتابات الكولونيالية كانت على تلك الشاكلة، فالمطلع على ما كتبه الأدباء الفرنسيون عن الجزائر رحلة، ورواية، ومسرحا و أشعارا... لا ينفي وجود

كتابات على قلتها، أنصفت الجزائريين أو على الأقل لم تصورهم بتلك البشاعة، مثلما فعلت الأقلام الكولونيالية الأولى.

وعلى مَر فترات مختلفة من تاريخ الجزائر المستعمرَة والتي يعتبر وادي سوف جزءا منها مُلئت دفاتر زوار هذا الإقليم في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين بمعلومات وملاحظات وإحصاءات وأرقام... الخ تُسجل تاريخ وادي سوف مُتَتَبعةَ أدق التفاصيل لتعطي للباحث في تاريخ سوف صورة تصف ما عاشه أهله وتحكي أوضاعهم في زمن سابق.

وقد اخترت في بحثي هذا من بين المدونات الأجنبية لتاريخ سوف كتابات الرحالة **إيزابيل إبرهاردت** التي زارت الوادي مطلع القرن العشرين ميلادي.

و يهدف هذا البحث لإبراز تاريخ المنطقة بداية القرن الماضي من خلال ما تصوره الرحالة، فجاء عنوان البحث:

صورة وادي سوف في كتابات إيزابيل إبرهاردت (1900-1901م)

وأسباب اختياري لهذا الموضوع بالذات هي:

- الرغبة في الكتابة لتاريخ المنطقة بشكل مختلف عن ما كتب حولها من طرف باحثين قبلي إذ وعلى حد اطلاعي أن جل المؤلفات حول سوف لم تكن من خلال كتابات إيزابيل إبرهاردت، وإن حضرت فيها فهي على شكل إحالات واقتباسات جزئية، فأردت خوض السبق في المغامرة البحثية هاته.
- أنه وقبل إنجاز هذا البحث المتواضع لم أكن أعرف عن **إيزابيل إبرهاردت** شيئا، عدى أنها رحالة مغامرة زارت وادي سوف وأنها شخصية ذات صيت، فأردت التعرف أكثر على هذه المرأة الملفتة للانتباه.

- حب وطني الذي يدفعني واجبي تجاهه أن أكتب ولو ورقات بحثية بسيطة ومتواضعة في تاريخه وأحاول قدر الإمكان التحلي بالموضوعية التي تبقى نسبية عند كل باحث في التاريخ، وبخاصة تاريخ وطنه.

تتمحور إشكالية البحث حول الآتي: **كيف صورت إيزابيل إبرهاردت وادي سوف في كتاباتها؟ و ما مدى موضوعيتها ؟**

وتندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية وهي:

- من هي إيزابيل إبرهاردت؟ وما دوافع زيارتها لوادي سوف؟ وما هي المواضيع التي تناولتها من خلال كتاباتها حول المنطقة؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، قسمت البحث وفق ثلاث عناصر رئيسية، بداية بمدخل مقتضب تناولت فيه: وادي سوف جغرافيا وتاريخيا مطلع القرن العشرين، ليأتي العنصر الأول بعنوان: بيوغرافيا إيزابيل إبرهاردت ورحلتها إلى سوف، والذي تحدثت فيه عن سيرة الكاتبة إيزابيل ورحلتها إلى سوف، و الدوافع من ورائها متتبعة خط سير رحلتها، أما العنصر الثاني فقد خصصته لأوضاع وادي سوف الاجتماعية من خلال كتابات إيزابيل إبرهاردت، أما العنصر الثالث تناولت فيه الأوضاع الاقتصادية والثقافية في سوف من خلال كتابات إيزابيل، وقد دعمت بحثي بملاحق لتقريب الفكرة وإيصال الغاية من هذا العمل. وختمت البحث بجملة استنتاجات وملاحظات.

وقد اعتمدت في بحثي هذا، على المنهج التاريخي، لأنني بصدد دراسة موضوع تاريخي، كما اعتمدت أيضا المنهج الوصفي، على اعتبار أني أصف منطقة بشريا وجغرافيا، أما التحليلي للتعليق وإكمال الصورة، سواء من خلال تحليلي الشخصي ويظهر ذلك في متن المذكرة وهوامشها في الفقرات التي لا تحمل إحالة، أو بالتحليل عن طريق مراجع أخرى، وذلك عندما تكتفي إيزابيل بذكر شئ أو حدث فقط دون شرح.

و لإنجاز هذا العمل اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع، أبرزها: مذكرات حول سوف والسوافة لـ جستون كوفي، اعتمدته خاصة في تحديد الإطار الجغرافي والتاريخي لسوف فالمؤلف تزامن وجوده في نفس الوقت الذي حلت فيه إيزابيل بالوادي، فقد كان مسؤول ملحقة الوادي لسنة 1900م. كما يحوي كتابه على معلومات ثرية حول المنطقة، مطلع القرن العشرين. إضافة إلى كتابين آخرين هما: ياسمينة وقصص أخرى لـ إيزابيل إبرهاردت، الأول مصدر. والثاني مرجع، لمؤلفه سبتي معلم بعنوان إيزابيل إبرهاردت اللغز الدائم من خلال هاذين الكتابين تتبعت السيرة الذاتية للكاتبة. وبشكل شبه كلي، اعتمدت كتاب عودة العاشق المنفي لـ إيزابيل، خاصة في العنصر الأخير للموضوع، ومبرر هذا الاعتماد الكبير هو أن مترجم الكتاب جمع فيه كل ما كتبت إيزابيل عن سوف، سواء مذكرات أو رسائل شخصية أو قصص.

و أثناء انجازي لهذا العمل، واجهتني عراقيل أهمها اثنين: الأولى، تعذر وصولي لبعض المراجع في بداية جمع المادة، خاصة تلك المتعلقة ببعض الجوانب الغامضة في حياة إيزابيل وبقي الشك يعتريني تجاهها لما وجدتها مدونة على جدران مواقع التواصل الاجتماعي، فأردت التحقق من مصادرها، ولما وصلتني متأخرة جدا، أصبحت أسابق عجلة الوقت الذي ومهما حاولت في مسألة تنظيمه، بقي المهمة الأصعب. وتلكم الثانية.

أقدم عملي هذا مع يقيني بالأخطاء التي تعتريه، لكن ما عسى المرء يصنع وفي طبعه النقص. ولا يفوتني في الأخير أن أجدد شكري لكل من ساعدني في مهمة البحث وشد على يدي وخاصة الأستاذ المشرف.

آمنة كحيلي

الدبيلة في 17ماي2018
الساعة04:30 صباحا

مـــدخـــل

وادي سوف جغرافيا وتاريخا مطلع القرن العشرين ميلادي

أولا: الإطار الجغرافي

يقع إقليم وادي سوف[1] جنوب شرق الجزائر، وينتمي إلى العرق الشرقي الكبير، يحده من الشمال بلاد الزاب ويمتد حتى جبال الأوراس والنمامشة وإلى نقرين، ومن الشرق، الحدود التونسية من نفطة إلى نفزاوة، ومن الجنوب واحات غدامس، ومن الغرب وادي ريغ وورقلة."ينظر ملحق رقم1" تمتد أراضيه من الجنوب إلى الشمال بين دائرتي عرض 33°-34°شمالا، وبين خطي طول 6°-8°شرقا. [2]

سوف عبارة هن كتلة ضخمة من الرمال، يحيط بها الماء من ثلاث جهات: غربا سلسلة شطوط وادي ريغ، شمالا شطوط مروان وشط ملغيغ أما شرقا شط الجريد.

تمثل واحات سوف المرتبطة ببعضها البعض طبقة متواصلة من غابات النخيل، أنطلاقا من قمار حتى عميش، وتشكل بذلك مجموعة من البلديات قطرها ثلاثون كيلومترا تقريبا، على اعتبار مدينة الوادي مركزها، تبلغ مساحة سوف تقريبا88000 كيلومتر مربع.[3]

- **مظاهر السطح**

بعدما نضب الوادي الذي كان يمر بسوف قديما، أصبحت الرمال تغطي أغلب سطحه مشكلة وادي من الرمل، فأصبح ينطبق عليه مصطلح "وادي الرمال" ويسود المنطقة عدة مظاهر تظاريسية منها:

---

[1] وادي سوف:اسم مركب من كلمتين، هما وادي وسوف، الأولى تعني وادي الماء الذي كان يتدفق قديما بالمنطقة في شمال وشرق سوف.أما الكلمة الثانية سوف فتعني في لغة البربر الزناتية النهر، وهناك من نسبها إلى قبيلة مسوفة التارقية التي مرت بالمنطقة، ومنهم من يرجعها لكلمة سيف الذي شبهوا شكل قمم الكثبان الرملية به.ينظر موسى بن موسى: **الحركة الاصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها1900-1939م**، (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف، أحمد صاري) في التاريخ جامعة منتوري-قسنطينة، 2005-2006م، ص-ص،17-18.

[2] أندريه فوازان: **سوف مونوغرافيا**، تر، أبو بكر مراد، دط، دار المعرفة، الجزائر، 2016،ص24.

[3] عبد القادر ميهي(جمع وترجمة): **الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي-الجزائر،2015، ص112.

1- العرق: فسطحه ينتمي إلى العرق الكبير الشرقي الكبير الذي تغطي الرمال معظم أراضيه (ثلاث أرباع المساحة الإجمالية) وهي رمال ناعمة تشبه الدقيق ذات ألوان صفراء وبيضاء تحركها الرياح، وقد نتج عن ذلك شكلين اثنين:

أ- **الكثبان الرملية:** وتتواجد بصورة كبيرة في جنوب سوف، وتختلف ارتفاعاتها حيث يصل أحدها 127م على بعد 2كلم جنوب اعميش، وفي أقصى الجنوب يصل ارتفاعها إلى200م وتسمى هذه الكثبان بالغرود.[1]

ب- **المنخفضات والأودية:** تعتبر سوف من أخفض المناطق في العرق الشرقي الكبير، وتوجد المنخفضات والأودية متخللة بين الكثبان الرملية، ومتوسط ارتفاع السطح هو80مترا، وينخفض دون مستوى سطح البحر إلى 25مترا عند شط ملغيغ

2- الحمادات الرملية: وتغطي المنطقة الشمالية لسوف، وهي طبقات حجرية متنوعة تحت الرمال، ويختلف سمك الرمال المتراكمة فوقها من جهة إلى أخرى، ومن تلك الطبقات "الترشة" وتستعمل لصنع الجبس،وتوجد بمنطقة البهيمة وسيدي عون، أما "اللوس"أو "زهرة الرمال" فهي حجارة صلبة متشابكة وتستعمل في البناء، وتوجد بغمرة والمقرن وشرق الزقم، وهناك نوع آخر من طبقات أرض سوف هو" الصلصالة" أو "السميدة" فتوجد في الدبيلة وأجزاء من غمرة وأجزاء من اعميش .[2]

1- المناخ والنبات الطبيعي:

أ-المناخ:

مناخ منطقة سوف هو المناخ الصحراوي، يعني أنه جاف جدا مع درجة حرارة كبيرة في الصيف وطويلة المدى، حيث تصل إلى 50°م، أما شتاء فتنخفض درجة الحرارة بشكل ملفت فتصل إلى 0°م. لكن بالنسبة لموقع صحراوي، فهو مناخ يمكن تحمله في الصيف و خاصة

[1] اندريه فوزان: المصدر السابق، ص38.

[2] علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية1300-1347هـ/1882-1954م** (رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، اشراف، عمر بن خروف) في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص14.

في الليل، حيث يمكن هجر البنايات والصعود فوق الكثبان الرملية لقضاء الليل، ويوجد ارتفاع نسبي في الرطوبة سببه التبخر الكبير للشطوط والأراضي الفائقة التشبع في الطبقة المقعرة في الصحراء السفلى، كما تلعب الريح أيضا دورا كبيرا في مناخ سوف وهي رياحمن الشمال الغربي في الشتاء، ورياح شرقية في الصيف، أما الرياح الجنوبية الغربية "الشهيلي" التي تكون أيضا في الصيف هي التي ترفع الرمال أكثر إلى الأعلى. وحتى الأيام الأكثر صفاء في الصيف تبدو شفافية الجو أكثر جلاء كلما اتجهنا نحو الغرب، أنه دون شك تأثير بقاء بعض الجزئيات الصغيرة من الغبار معلقة في الهواء، لكن يمكن أن يحدث انقلاب جوي استثنائي، كما نلاحظ في فصل الصيف وفي جهة الشمال وميض البرق الذي لاتصاحبه الرعود، يعود ذلك دون شك إلى عواصف محلية في التل، لا تمس منطقة سوف في شئ.[1]

أما الأمطار فهي نادرة وشحيحة بسبب المناخ الصحراوي من جهة ومن جهة أخرى فإن أقرب بحور الجزائر وهو بحر عنابة يبعد عن سوف بحوالي 560 كلم وخليج قابس بتونس بمسافة 350كلم، وسقوطها ينحصر بين شهري نوفمبر و فيفري، وعند غزارتها تسبب أضرار على مستوى المساكن وواحات النخيل، ويبلغ متوسط التساقط السنوي في سوف بـ80,3مم.[2]

أ- النبات:

لا وجود للماء على سطح الأرض في منطقة سوف، لذلك فإن عدد الأصناف التي تعيش عليه من النباتات محدودة، وتتواجد في المنخفضات قرب المياه المختزنة تحت سطح الأرض، ومن هذه النباتات : الحلفاء، العضيد، العلندة، الدرن، الأزال أو الرتم بعض الحشائش ونباتات الأخرى.3

[1] جستون كوفي: **مذكرات حول سوف والسوافة**، تر. عبد القادر ميهي، ط1، مطبعة الرمال، الوادي- الجزائر،2016،ص-ص38-42.

[2] موسى بن موسى: المرجع السابق، ص22.

[3] جستون كوفي: المصدر السابق، ص52.

ج- الحيوانات:

هي متواجدة في سوف بين أليفة ومتوحشة، فعن الأولى توجد الجمال، الخيول،الأغنام، الماعز والغزال وبعض أنواع الطيور منها الغاب، طائر الذعرة" الصفيري"،طاشر الشرشور المخطط طائر الدوري، طائر المُكة" أم القبور"....الخ أما المتوحشة فنجد ابن آوى، القط البري، الفنك وعدد من القوارض و الأفاعي وسمك الصحراء" الشرسمان"، الورن، العقرب والذباب ...الخ[1]

ثانيا: الإطار التاريخي

منطقة سوف كغيرها من الجزائر عرفت الاحتلال الفرنسي، والذي كان توسعه في الجنوب حتميا بعد سقوط عاصمة بايلك الشرق" قسنطينة"1847م، وقد مر احتلال سوف بمراحل وهي:

1- مرحلة الرحلات الاستكشافية (1832-1852م)

2- مرحلة الغزو الفرنسي لسوف(1852-1854م)

3- مرحلة احتلال سوف نهائيا(1854-1962م)

عرف النظام الإداري في سوف تقسيمات وهي:

- نظام القياد (1854-1873م)

- نظام الخلفاء والشيوخ (1854-1885م)[2]

· **تأسيس ملحقة الوادي** : من نتائج إنشاء دائرة تقرت صدور قرار حكومي بتاريخ 1 جانفي1893م يقضي بضم ملحقة الوادي لها-تقرت- بعدما كانت تخضع مباشرة إلى بسكرة. لم يأت قانون إنشاء أقاليم الجنوب بأي تغيير إلى ذلك الوضع، لكن منذ أن نقل القائد العسكري في تقرت مقرات قيادته إلى المدينة وإنشاء ملحقة في تقرت أصبحت الوادي الوادي تخضع مباشرة لهذا الضابط العسكري، ترأس مركز الوادي الملازم شيزار، خليفته القبطان جانون الذي كان أول قائد لملحقة الوادي، ثم خلفه القبطان أبال فارجس الذي استقدم الحامية الصغيرة من الدبيلة ووضعها في المقر المنجز لها في الوادي- المدينة- بجوار مباني الشؤون

[1] جستون كوفي: المصدر السابق، ص43.

[2] موسى بن موسى: المرجع السابق، ص33.

الأهلية. تشكل منطقة سوف بلدية أهلية مستقلة. يؤدي القائد ومساعدوه من الضباط وأحد المترجمين كل الأعمال في الملحقة ماعدا تلك التي تتطلب مختصين وهي: الصحة، التعليم العمومي، البريد والتلغراف، النظام القضائي، الضرائب والغرامات، أملاك الدولة، الموازين والمكاييل والأمن.[1]

وادي سوف رغم أرضها الجدباء القاحلة، ورغم وقوعها تحت السيطرة الاستعمارية، جذبت عدة رحالة ومستكشفين أجانب من بينهم إيزابيل إبرهاردت.

[1] جستون كوفي: المصدر السابق، ص73.

الفصل الأول

بيوغرافيا إيزابيل إبرهاردت ورحلتها الى سوف

مولد إيزابيل إبرهاردت ونسبها

نشأة إيزابيل إبرهاردت واهم محطات حياتها

وفاتها

أعمالها

رحلة إيزابيل إبرهاردت إلى سوف وخط سيرها

أولا- مولد إيزابيل إبرهاردت ونسبها:

إن هوية إيزابيل إبرهاردت غير واضحة ويسودها الكثير من الغموض، وقد أسالت حبر كثير من كتاب سيرتها إذ أُعلنت مولودا غير شرعيا بعد مرحلة من عمرها.

أمها -نتالي إبرهاردت- أرستقراطية ألمانية تتبع المذهب اللوثري - المصلح مارتن لوثر - كانت متزوجة بجنرال روسي -بول دي موردر- وأنجبت منه ثلاثة أولاد حينها قاما بتوظيف ألكسندر -نيكولايفتش ثروفيموفسكي- المدعو- فيفا -أو -فافا- كمربي للأولاد، كان ثروفيموفسكي قسا أرثوذوكسيا ثم تحول إلى ملحد عدمي وكان عالما، مثقفا، فيلسوفا يتقن العديد من اللغات : التركية، الألمانية، العربية، الروسية، كان فيفا جذابا فتعلقت به ناتالي لتفر معه إلى سويسرا تاركة زوجها، غير أن أسباب هروبها غير واضحة ويمكن أن تكون أسبابا سياسية، أكثر من فرار عاشقين، إذ ومن دون شك أن ثروفيموفسكي قد مارس دورا في الحركة الثورية الروسية في ذلك الوقت. كان زوج ناتالي بول دي موردر يتبعها في ترحالها عبر أوربا لينتهي بهما الأمر إلى التصالح ويولد لهما ابن يعترف به الجنرال وهو أوغستين . لكن بعد سنة أي في 1873 يموت -بول دي موردر- تاركا ثروة هائلة لزوجته. أمضت ناتالي وألكسندر السنوات بعد موت زوجها مرتحلين عبر أوربا مع الأولاد، وكان ألكسندر يقوم بزيارة لروسيا بين الفينة والأخرى للإشراف على إدارة أموال رفيقته[1]

وفي أحد غياباته المتكررة وبالضبط في السابع عشر من فبراير سنة 1877 م وضعت ناتالي بنتا هي- إيزابيل-، كان ذلك بجنيف في -فيلا فانت- FENDT- الواقعة -بحي الكهوف QUARTIER DES GROTTES- لكن ثروفيموفسكي رفض الاعتراف بأبوة البنت لعدائيته للأعراف، أو بتحريض من أطراف ما أو لسبب آخر، وحملت إيزابيل لقب جدتها لأمها -إبرهاردت-، لقد تعرض أمر ميلاد إيزابيل إلى كثير من المضاربات من طرف المهتمين

[1]-إيزابيل إبرهاردت : **ياسمينة وقصص أخرى**، ترجمة، حسن دواس،(د.ط) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة إبداعات عالمية ع 390، الكويت، 2012، ص15.

بسيرتها حتى أن بعضهم نسبها للشاعر الفرنسي آرتر رامبو[1] لما وجد من تشابه كبير بينهما ويؤكدون على ذلك بالتشابه الكبير بين ملامحهما، كما أن اسم إيزابيل هو في الوقت نفسه اسم شقيقة رامبو التي كان متعلقا بها إلى درجة كبيرة كذلك الجملة الواردة في أحد كتبها "....أنا أيضا سأموت مسلمة مثل أبي ..." حيث يقال أن رامبو بعد رحلته إلى وادي النيل قد أعتنق الإسلام. [2] ووسط تلك التضاربات، يبرز صوت الرحالة نفسها و بالضبط في أفريل 1903 وفي جريدة (la petite girond) تقول " إيزابيل" عن نفسها : " إبنة رعية روسي مسلم وأم مسيحية ولدت مسلمة، ولم أغير أبدا من ديانتي، توفي أبي بزمن قصير قبل ميلادي بجنيف أين كان يقطن [3] غير أنه في سنة 1988م، نشرت مجلة (L'internationale de l'imaginaire) رسائل الرحالة تبادلتها مع صديقها التونسي "على عبد الوهاب " بداية 1898م حيث أرسلت له بعد وفاة والدتها معلومات تتعلق بميلادها الذي كان نتيجة حزينة لاغتصاب تعرضت له والدتها المريضة من قبل طبيبها [4]وينتهي "حسن دواس" بعد تقليب مختلف الآراء إلى أن إيزابيل إبرهاردت هي ابنة ثروفيموفسكي، معللا الآراء التي تتحدث عن غموض نسبها بأنها محاولة لتلطيخ سمعتها ونسبها بسبب مواقفها الجريئة من الاستعمار الفرنسي ووقوفها إلى جانب المقهورين من سكان الجزائر الأصليين. [5]

و الأرجح أنها مجهولة الأب لأنها نسبت نفسها مرة إلى رعية روسي مسلم، ومرة إلى طبيب العائلة وهذا يدل على أن إيزابيل هي في حد ذاتها لا تعرف والدها الشرعي، و كلما عثرت على معلومة تثبت نسبها دونتها في مذكراتها، و الراجح أيضا أن والدتها ناتالي

1 Brahimi Denise: L'oued et zaouia, lectures d,isabell eberhardt, office des publication universitaires, alger, 1983, p9.

[2] إيزابيل إبرها ردت : ياسمينة وقصص أخرى المصدر السابق ص 16.

[3] Sabrina Benzian: **orient et occident dans les nouvelles d'Isabelle Eberbardt ,le Major,yasmina, pleurs d'amandiers et la rival** , (mèmoire de magistère), université el hadj lakhdar-batna.2008/200,p9.

[4] sabrina Benzian: ibid, p10.

[5]– إيزابيل إبرهاردت: ياسمينة وقصص أخرى، المصدر السابق، ص 16.

تكتمت عن هوية الأب ولم تسر لابنتها عن والدها الحقيقي فلو فعلت لكانت إيزابيل ذكرت هذا في كتاباتها فعلاقتها بأمها كانت جيدة لكن هذا الغموض يبدو أن ورائه سر كبير.

ثانيا: نشأة إيزابيل إبرهاردت وأهم محطات حياتها:

في –ميران Meyrin – إحدى ضواحي "جنيف" وفي منزل كبير وجميل –Villa neuve– وسط مساحات غابية واسعة نشأت إيزابيل في كنف عائلة كبيرة مكونة من أربع ثلاثة ذكور و أخت والأم و ثروفيموسكي الذي وان لم تربطه بها قرابة الدم فإنه يعتبر الأب الروحي لإيزابيل وكان الصغار ينادونه –فافا vava–.[1]

لم تذهب "إيزابيل" إلى المدرسة كعادة من هم في سنها لأن فافا تولى تدريسها وتربيتها والإشراف عليها، درسها كل معارف ذلك العصر من فلسفة ولغات شتى، و تاريخ، و علوم متفرقة ولم يقتصر الأمر على تعليمها بل تلقت إيزابيل على يده كل ما تعلق بشتى مناحي الحياة فكان مثلا يدربها على ركوب الخيل. و غيرها من الأعمال التي ساعدتها في مغامراتها و ترحالها مستقبلا. كبرت إيزابيل و ارتادت الثانوية في جنيف و هناك توسعت معارفها و تفتحت مداركها سيما و أن جنيف كانت ملتقى عديد الثقافات، و المذاهب و التيارات الفكرية فكانت حينها مستقر الكثيرين من اللاجئين القادمين من الشرق خاصة من روسيا القيصرية، من تركيا، و من العالم العربي، و كان في المدينة مكتبة ضخمة تحتوي مختلف أصناف المعرفة ففي هذا الوسط الفكري و المتعدد الثقافات تفتحت إيزابيل و تفجرت فيها رغبة الاستكشاف وراحت تملأ الدفاتر بعديد الملاحظات في التاريخ والجغرافيا والأدب ...الخ لقد كانت تطالع كثيرا[2]. و كانت لأسباب نفسية ترتدي لباس إخوتها الذكور وهي صغيرة، تقلد الرجال في مشيتهم وحركاتهم، الشئ الذي يمنحها شعورا بالراحة والحرية أكثر كما تقول في

[1] Brahimi Denise, op cit, p9

[2]– إيزابيل إبرها ردت : ياسمينة وقصص أخرى، المصدر السابق ، ص18.

مذكراتها، لكن الأمر راقها فراحت تتسكع في شوارع جنيف بلباس ذكوري وظلت على ذلك حتى لما كبرت و صارت امرأة ناضجة [1].

كبرت إيزابيل في هذا الوسط الثقافي و الديني الذي جمع بين الشرق و الغرب و بين المسيحية والإسلام، و كانت النقاشات التي تدور في ذلك البيت تربة خصبة تعلمت فيها الجرأة والفكر النقدي، مما ساعد على تغيير فكرها الغربي الأناني و تغيرت معه حياتها اليومية الأوربية المادية والعقائدية، فأصبحت فتاة جريئة تكسر كل الحواجز وتعلن ثورة على جميع المفاهيم الغربية التي كانت عصرية و لكن كانت مادية بحته[2] و تقول عن نفسها في مذكراتها لست سوى إنسانة أصلية فريدة غربية نوعا ما، و صاحبة أحلام و أفكار تريد أن تعيش بعيدا عن هذا العالم المعاصر المليء بالنفاق والخداع، تريد أن تعيش حياة البدو الرحل تحاول أن تفهم الناس، العرب خاصة في ما عاشته و شهدته عندما تقف أمام روائع الخالق القهار في صحراء هادئة وحزينة [3]، و لتشبع إيزابيل رغبتها في البعد عن العالم المادي تعلمت العربية والقبائلية وقرأت القرآن و هي في السادسة عشر من عمرها و بذلت كل ذلك بسبب تعلقها الكبير بالجزائر دار الإسلام كما كانت تسميها، الجزائر التي عشقتها قبل أن تراها، ذلك أن أخاها الأصغر –الغير شقيق– الذي التحق بفيلق المرتزقة بـ سيدي بلعباس كان يراسلها من هناك ويصف لها جمال الجزائر وسحرها. [4]

مرت إيزابيل بمحن كثيرة وهي في جنيف، فقد عادا أخويها من أمها نكولا و ربيب أمها كونستونتان إلى روسيا، أما أخوها الثالث فلاديمير فقد وضع حدا لحياته وانتحر في البيت العائلي اختناقا بالغاز و انقطعت أخبار أختها ناتاليا التي فرت مع عشيقها، فبقي من إخوتها فقط الصغير أوغستين الذي كان يراسلها من سيدي بلعباس كما ذكرنا سابقا.[5]

---

[1] معلم سبتي : إيزابيل إبرهاردت ، اللغز الدائم ، ط1، مطبعة عمار قرفي وشركائه ، باتنة ، الجزائر ،2012،ص30.

[2] معلم سبتي: نفس المرجع، ص8

[3] معلم سبتي : نفس المرجع، ص 30.

[4] Sabrina Benzian, op cit,p1.

[5]– معلم سبتي : المرجع السابق، ص 33–34.

كل هذه الأحداث أرغمتها على البحث عن مكان آخر يكون متنفسا لها، فاختارت باريس وهناك كتبت لعدة جرائد وعملت بأجور زهيدة لكنها لم تستسلم لجأت إلى كل الحلول لتخرج من النفق المظلم[1] فتعرفت في باريس على صحافيين وكتاب من بينهم المصري – أبو نظارة –[2] و هو –يعقوب صنوع– رائد المسرح المصري الملقب بـ–موليير مصر– هو يهودي الأصل مصري الوطنية مسلم الديانة هو شخصية امتزجت واختلطت فيها عدة ثقافات وديانات وذابت في بعضها البعض لتشكل هذه الشخصية المتعددة اللغات والمواهب ولد بالحي اليهودي بالقاهرة نفي إلى فرنسا سنة 1878 م بسبب مواقفه ضد الاستعمار في وطنه و هناك أنشأ جريدة – أبو نظارة الزرقاء– و تجدر الإشارة أن أبو نظارة كان صديق لجمال الدين الأفغاني و محمد عبده و بالتالي أصبح أبو نظارة أحد كنوزها التي تعلمت منه الكثير و تعرفت من خلاله عن التونسي –علي عبد الوهاب– الذي سيصبح صديقا مقربا لها فيما بعد فمن خلال هاته الشخصيات أصبحت تعرف عن الشرق و عن الثقافة و الدين الإسلامي أكثر فأكثر. و كان أبو نظارة همزة وصل بين إيزابيل و الشرق، فمنه تعرفت على الكثير من كنوز الجزائر كما كان يصفها لها أخوها أوغستين من سيدي بلعباس فأصبحت الجزائر تلح عليها يوما بعد آخر وبسبب القطيعة مع كل ما يمت إلى الماضي التعيس بصلة قررت إيزابيل و والدتها الخروج من أوربا والتوجه إلى الجزائر.[3]

وصلاتا إلى مدينة عنابة في ماي 1897م، و أقامتا في منزل عائلة فرنسية صديقة لكنهما سرعان ما تركتا المنزل و الحي الأوربي و استقرتا في بيت مستأجر وسط الحي العربي، و في هذا الحي العتيق تعرفت إيزابيل على شاب عربي مثقف يعمل كاتب لدى القاضي، فنشأت بينهما صداقة و أصرا على ناتالي أن تعتنق الإسلام فقبلت و اختارت اسما جديدا لها هو فاطمة بدل ناتالي و هنا عرفتا نوعا من الراحة و الطمأنينة و عرفتا البسمة الحقيقية في هذه

[1]– معلم سبتي : نفس المرجع ، ص5 .

[2]– معلم سبتي : نفس المرجع، ص36.

[3]– معلم سبتي : نفس المرجع، ص39.

الأحياء الشعبية العنابية البسيطة، حيث تستضيفهما العائلات وتخصص لهما استقبالا وترحيبا و كان الجو العائلي رائعا فأحسا بنوع من الأخوة، كل هذه المعاملات تترك في نفس الغريب نوعا من الحنين والرغبة في البقاء والانتماء إلى هذه الأمة. كانت إيزابيل بعد إسلام أمها أكثر إنسانية مما كانت عليه، ذات قلب كبير طيبة و عطوفة ذات شخصية قوية و كانت تتميز بظمأ رهيب للحياة و توق كبير إلى معرفة الأشياء وتجربتها[1].

عكفت إيزابيل وهي في عنابة على كتابة رواية راخيل لكنها لم تكمل الرواية إذ انطلقت صوب مدينة باتنة كي تتصل بصديقها الفرنسي الذي ظلت تراسله حتى قبل مجيئها إلى الجزائر، لكن بمجرد وصولها باتنة علمت أنه في مهمة عسكرية إلى الجنوب الوهراني فوجدت الفرصة سانحة لزيارة مدينة تيمقاد الأثرية و قد كانت باتنة و تيمقاد مسرحا لواحدة من أجمل قصصها ياسمينة، ثم عادت إلى عنابة و بقيت ملازمة لأمها المريضة التي توفيت في نوفمبر 1897 م و دفنت في مقبرة المسلمين بـ عنابة، اضطرت بعدها للسفر إلى تونس للنقاهة ثم تركت "عنابة" عائدة إلى" باريس" ثم جنيف لتلازم مربيها "فافا" الذي وجدته مريضا ثم توفي هو الآخر سنة 1899م، فقدت إيزابيل كل سند ومعين وبقيت لا حول لها ولا قوة تحاصرها الوحدة والحزن و زاد من بؤسها ما حل بها من ضائقة مالية، فكتبت "...**أنا الجديرة بأن أرسم على جبيني وشما به عبارة ليس لي حظ**"[2]

بعد وفاة "فافا" ارتحلت نحو تونس إلى صديقها الوفي علي عبد الوهاب الذي وفر لها كل شروط الراحة لتسترجع عافيتها، و بقيت في ضيافة صديقها التونسي و والدته محاطة بكل ما يريح بالها غير أن نداء الجزائر ظل يلح عليها.[3] و من تونس تتابع رحلتها إلى الجزائر العاصمة مرة أخرى، و ذلك في عام 1900م ، وفي 29 جانفي 1901 م، تعرضت لحادث اغتيال من طرف أحد أتباع الطريقة التجانية، تعرضت لهذا الحادث وهي بقرية البهيمة – حساني عبد الكريم– حين كانت ضمن الموكب الذي كان يودع الشيخ الهاشمي الشريف

[1]– معلم سبتي : المرجع السابق، ص42.

[2] إيزابيل أبرهاردت: عودة العاشق المنفي، تر. عبد القادر ميهي،(دط)،مطبعة الوليد، الوادي–الجزائر،2006،ص119.

[3] معلم سبتي: المرجع السابق، ص48.

المتوجه لزاوية نفطة، و جرحت جرحا كبيرا على مستوى الذراع لكنها نجت من الموت بعد عملية جراحية ناجحة، حكم على الجاني بعدها بالأشغال الشاقة و على إيزابيل بالنفي و عدم دخولها الجزائر مرة أخرى، و أثناء محاكمة الجاني بمحكمة قسنطينة وقفت إيزابيل بجانب الرجل الذي اعتدى عليها طالبة الصفح عنه بدعوى أنه مدسوس من أطراف أخرى و هم من يجب أن يحاسبوا، مما أثار سخط هيئة المحكمة الفرنسية [1]و ما زاد هذا السخط ، أنها صرحت و اعترفت أنها لم تكن أبدا مسيحية و لم تتنصر قط مهما كانت روسية الأصل، فهي مسلمة منذ أمد بعيد و أن أمها مسلمة مدفونة في مقبرة المسلمين في عنابة و أنها ليست محتاجة للتظاهر بإسلامها و ليس هناك سبب يدفعها إلى لعب دور ما، كما أن انضمامها إلى الطريقة القادرية تم بمباركة الشيخ سي محمد الحسين بورقلة و هذا التصريح جاء لرفع كل التماس محيط بعملية الاعتداء و حتى لا يفسر ذلك على أنه حقد متزمت على كل ما هو مسيحي ذلك و كل سكان منطقة سوف يعلمون ذلك بما فيهم عبد الله بن محمد نفسه الذي قام بالاعتداء[2].

و يرجع السبب ربما في تلك الحادثة إلى نمط حياة إيزابيل الغريب الذي أثار بعض الشكوك حولها، فتاة في زي الرجال تسمي نفسها سي محمود السعدي، تعتنق الإسلام تقطع الصحراء بمفردها وتسجل كل كبيرة وصغيرة أينما تمر و تنشر كل ذلك في عدد من الصحف و المجلات، جعل البعض يشك أنها جاسوسة لجهة ما، وجب التخلص منها.

بعد قرار نفي إيزابيل من الجزائر في ماي 1901 م توجهت إلى مرسيليا باسم مستعار متنكرة في بدلة العمال الزرقاء حتى تتمكن من السفر في الدرجة الرابعة الممنوعة على النساء في مرسيليا فكرت في العودة إلى الجزائر، و لم يكن أمامها من سبيل إلا الزواج و لأنها كانت تدرك أن سبيل العودة إلى الجزائر هو الزواج من فرنسي استطاعت أن تتحصل من السلطات الفرنسية على رخصة الزواج المدني و تم ذلك بعد التحاق سليمان بها بمرسيليا في 17 أكتوبر

[1]– إيزابيل إبرهاردت : ياسمينة وقصص أخرى ، المصدر السابق ، ص39

[2] عمير بوداود : "إيزابيل إبرهاردت"، **جريدة الخبر**، الأربعاء 13 ماي 1992 ، الجزائر، ص 21.ينظر، إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، ص197.

1901م و أصبح اسمها ليلى محمودة و بذلك استطاعت العودة إلى فردوسها المفقود في الصحراء الجزائرية وسط الرمال الذهبية حيث يسطع النور من كل الجهات وعادت إيزابيل برفقة زوجها سليمان إلى الجزائر في 14 يناير 1902م، و عندما تزوجت إيزابيل انطلقت إلى الصحراء بزي الرجال على ظهر جوادها لم تشعر بعدم الاحترام اتجاه ذاتها من الصعب القول لماذا اختارت إيزابيل هذا الزي قد يكون ذلك راق لها أو اعتمدته للدفاع عن نفسها[1] .

وفي زيارة لها إلى الجزائر عرض عليها الناشر فيكتور باريكون (Victor Barrucand) العمل كمبعوث خاص لجريدة الأخبار، كما تعاونت أيضا في المجال الإعلامي مع لوس دنابين (luce Denaben) مديرة مدرسة للفتيات بالجزائر و لأول مرة يمكن القول إن إبرهاردت عاشت حقيقة من مصدر الصحافة وأصبح لها دخل منتظم، و تقربت إيزابيل في تلك الفترة أيضا من مجموعة كتاب أصدروا مجلة أدبية سموها فرنسا الكبرى (laGrand France) و كانت تتولى تحرير عمود ثابت بجريدة الأخبار تنشر فيه ما تدونه خلال ترحالها، و لم تتردد إيزابيل في الدفاع عن القضايا الإنسانية وفضح بعض ممارسات المستعمر الفرنسي الذي لم ترق له مواقفها.[2] .

و في خريف 1903 م بالضبط في شهر سبتمبر أرسلت إلى الجنوب الوهراني كمراسلة حرب – و تجدر الإشارة هنا أنها كانت أول امرأة مراسلة حرب في مطلع القرن العشرين –من طرف جريدة الأخبار بعد موافقة الجنرال ليوتي لتغطية أحداث المواجهات بين المقاومة الجزائرية وجنود الاحتلال الفرنسي، وكذا الصراع الحدودي بين الجزائر و المغرب و أقامت بـ عين الصفراء لتلتقي بالمارشال ليوتي في ديسمبر 1903 م ببني ونيف، و في ماي 1904م عادت إيزابيل إلى عين الصفراء حيث استأجرت منزلا وأقامت فيه في تلك الفترة كتبت عدة مقالات كما التقت مسؤول زاوية الشيخ بوعمامة. و في صيف 1904م سافرت إلى الغرب

[1]– إيزابيل إبرهاردت : ياسمينة وقصص أخرى، المصدر السابق ، ص22.

[2]– أحسن دواس : **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين ، مقاربة سوسيو ثقافية،** (مذكرة ماجستير في الأدب المقارن، إشراف، الأخضر عيكوس)، جامعة منتوري– قسنطينة 2007–2008 ص 210.

متجهة إلى مدينة القنادسة من اجل الالتقاء بالمتصوفين قاصدة زاوية سيدي إبراهيم ولد محمد هذه الأخيرة التي تعتبر مزار للعديد من الشخصيات الدينية وتنظم ملتقى سنويا يحضره متصوفون من كل أنحاء الشمال الإفريقي وبسبب الاضطرابات التي كانت تسود المنطقة قبض على إيزابيل من طرف رجال الزاوية وزج بها في السجن لمدة أسبوع بتهمة التجسس لحساب الفرنسيين لكن أطلق سراحها فيما بعد مباشرة [1]. و قد أقامت في هذه الزاوية لمدة شهرين (جوان ، جويلية 1904 م) لأجل التأمل و الذكر حيث كتبت : " إنني نزلت ضيفة عند أهل هذه الزاوية، و تمتعت بصمت منازلهم ووفروا لي كل الهدوء ظل من السلم دخل روحي"[2]

و عند رجوع إيزابيل من الزاوية الزيانية بالقنادسة، و مرورا بمدينة بني ونيف غشيتها الآلام والحمى فوصلت عين الصفراء ودخلت المستشفى مدة 15 يوما[3] .

ثالثا: وفاتها :

كتبت إيزابيل عن الموت : " **ربما يكمن كل السحر المؤلم في اليقين المطلق للموت، لو كانت الأشياء أزلية لبدت لنا غير جديرة بالتعلق بها.**"[4]

خرجت إيزابيل من المستشفى وكتبت لسليمان رسالة تطلب منه الالتحاق بها لمرافقتها في البيت الذي استأجرته بعين الصفراء، في 21 أكتوبر 1904م وبعد تغير مفاجئ في الأحوال الجوية غمر المدينة ماء الوادي الذي دمر جزءا من عين الصفراء وأتى على بيت الطين الذي كانت تسكنه إيزابيل، و استطاع سليمان أن ينجو من هذه الكارثة الطبيعية، غير أن إيزابيل وقد أضعفها المرض لم تستطيع الهروب و وجدت ميتة تحت أنقاض منزلها مرتدية لباس الفرسان العرب، و دفنت بمقبرة سيدي بوجمعة الإسلامية بعين الصفراء جنبا إلى جنب مع قبور أهل

---

[1] – بلعرج بوداود : "إيزابيل إبرهاردت الفارسة ... عاشقة الثورة الجزائرية"، **مجلة العربي الكويتية**، العدد 558، ماي 2005 ص 05.

– ينظر محمود بن عزة : "إيزابيل عاشقة سوف"، **ملتقى إيزابيل إبرها ردت**، دار الثقافة الوادي 6-7 ماي 1998.

[2]– بلعرج بوداود : مرجع سابق، ص4.

[3]– إيزابيل إبرهاردت : ياسمينة وقصص أخرى ا،لمصدر السابق ،ص 25.

[4] نفسه.

المدينة. " أنظر ملحق رقم4" لقد سجلت في هذه الحادثة ستة وعشرون ضحية و عثر على مخطوطات إيزابيل التي سلمت من طرف الجنرال ليوتي إلى مؤلفها فيكتور باركون وقد بعث ليوتي برقية إلى وكالة هافاز نقلتها الصحافة في الجزائر وفرنسا، جثة إيزابيل عثر عليها تحت الأنقاض وهذا مقتطف من البرقية كما وردت بجريدة (لاديباش ألجريان) بخصوص وفاتها:"**عثر في العين الصفراء صباح 27 أكتوبر 1904 م في الساعة التاسعة والربع على جثة إيزابيل إبرها ردت تحت الأنقاض** ". و سيبقى اسمها مسجلا في تاريخ الأدب الجزائري الحديث، ففي جو جنائزي وبحضور الجنرال ليوتي دفنت بمقبرة سيدي بوجمعة فقد كانت محبوبة في الجنوب الوهراني

و معروفة بشجاعتها و أعمالها و حبها لعين الصفراء و إطلاعها على الثقافة الإسلامية، على قبرها الذي يتوافد عليه السياح في المنطقة تقرأ باللغتين : سي محمود (إيزابيل إبرهاردت) زوجة سليمان هني توفيت في سن 27[1]. قال عنها الجنرال ليوتي :" **كانت الشخص الوحيد الذي يلفت كثيرا الانتباه، هي المرأة العاصية ...والتي هي خارجة عن كل حكم سابق وعن كل تشيع وعن كل عبارة مبتذلة، والتي تمر عبره الحياة بقدر ما هي حرة من كل شيء كالطائر في الفضاء يا لها من متعة** "،وقال عنها المفكر الجزائري مالك بن نبي في كتاباته : مذكرات شاهد عن القرن "...كما وعيت في ذلك الوقت الدسم اللذيذ (الصحراء) الذي صبته في روح إيزابيل إبرهاردت ...لقد قرأت مرارا كتابها ...كنت ابكي وأنا أقرا ذلك الكتاب المسمى " في ظلال الإسلام الدافئة " والذي عرفت فيه شاعرية الإسلام وحنين الصحراء "[2]

كتبت إيزابيل باللغة العربية وبخط يدها، في دفتر مذكراتها، قول المولى عز وجل:" كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" –سورة الرحمان–الآيتان26–27– نجت إيزابيل في حادثة البهيمة من ضربة سيف مباشرة من رجل شاب، لكنها لم تستطع الوقوف في

[1]– بلعرج بوداود : المرجع سابق ، ص 07.

[2] نفسه.

وجه قدرها بعين الصفراء. رحلت لكن أعمالها عاشت بعدها، تصنع مغامرة أخرى من طرف الباحثين و الكتاب في سيرتها و كتاباتها.

رابعا: أعمالها

تركت إيزابيل بعد وفاتها عدة أعمال مخطوطة و أخرى منشورة في الجرائد و المجلات و تعتبر أعمالها وثائق شاهدة على فترة مهمة من تاريخ الجزائر وقد نشرت مايلي :

- كتابات على الرمل

- باريس، غراسي 1988-1900 م : يحتويان على ملاحظات في الرحلات، كتاباتها الاوتوبيوغرافية الحميمية الشخصية .

- تسكعات : مجموعة من ذكريات رحلاتها في الصحراء التونسية نشرت في المجلات في حياتها ثم أصدرها بعد وفاتها صديقها فيكتور باريكون.

- عودة إلى الجنوب : يخص الجزائر وبالضبط الجنوب الوهراني وهو عبارة عن ملاحظات في الطريق كتبت الجزء الأول منه حين كانت مراسلة حرب على الحدود المغربية الجزائرية سنة 1903 م، أما الجزء الثاني كتب خلال إقامة أخرى في الجنوب الوهراني وقد فاحت بعطر البعد الصوفي مع وصف للقنادسة قلعة الصحراء الدينية، بعد موتها نشرها فيكتور باريكون بعد تحوير في"ملاحظات في الطريق" وفي "ظل الإسلام الدافئ ".

- اليوميات: هي دفتر شخصي و أدبي كتبته خلال الأربع سنوات الأخيرة من حياتها ويبرز ذوقها الأدبي و إعجابها ببيير لوتي و الأخوة جونكور، وميلها للصوفي، و حالات الإحساس بالوحدة، وحزنها لموت الأقرباء، و حبها لزوجها سليمان ومحاولة اغتيالها ...الخ.[1]

- كما كتبت في القصة والرواية حوالي ستين قصة ورواية نشر معظمها في حياتها في الصحافة الجزائرية على شكل حلقات من بينهم : المرآة، رؤية المغرب، تسعديت، ياسمينة الأهالي ...الخ.

[1] أحسن دواس : المرجع السابق ،ص 212-214.ينظر، Mohamed Rochd: **Isabelle une Maghrébine daptatin**, office des publicatin unversitaires, Alger, p180.

– كتابات حميمية، رسائل إلى أحب ثلاث رجال : وهي عبارة عن مراسلات لـ أخيها أوغستين و صديقها و أمين سرها علي عبد الوهاب و زوجها سليمان.[1]

خامسا: رحلة إيزابيل إبرهاردت إلى سوف وخط سيرها

أ- الدوافع:

ما الذي دفع فتاة أرستقراطية من جنيف كي تدير ظهرها للحضارة الغربية و تلج دروب مغامرة لا تعود منها إلا و هي في قلب التصوف الإسلامي؟ للإجابة عن هذا السؤال حاولت النبش في ما كُتب عن إيزابيل و ما كتبت هي عن نفسها، لأصل إلى بعض المعطيات التي تعطينا الأسباب الحقيقية وراء رحلتها الموسومة بالغامرة.

بتاريخ 04 أوت 1899م زارت إيزابيل سوف لأول مرة، في مهمة كلفتها بها إحدى نساء أوربا للتحقيق في مقتل زوجها المركيز دي موريس على الحدود الجزائرية التونسية الليبية[2] مكثت إيزابيل في سوف خمسة عشر يوما و أعجبت أشد الإعجاب بطبيعة سوف، وقبل هذه الزيارة و تحديدا في –جنيف –بفيلا نوف – كان لإيزابيل علاقات و احتكاك مع أوساط المهاجرين فكان بيتهم يستقبل المطرودين و الثوريين الهاربين من سيبيريا و الأتراك المعارضين للسلطان عبد الحميد، فإيزابيل ترعرعت في هذا السياق و تأثرت به و لكن صقلت فكرها من خلال رحلاتها الثرية و احتكاكها بالثقافة الإسلامية و العربية عن طريق صديقها التونسي علي عبد الوهاب و المصري أبو نظارة الذي نصحها بمعرفة حياة و عادات و أخلاق المسلمين بالجنوب الجزائري فكانت إيزابيل من القلائل في بداية القرن العشرين التي حاولت إظهار إنسانية المسلمين[3] .

كانت لدى إيزابيل إبرهاردت رغبة في نبذ الحضارة الغربية المادية ذات الطابع الاستعماري كما زاد في رغبتها للمغامرة و الترحال واقع أنها لم تعرف أباها أبدا لذا قررت الذهاب لاكتشاف

---

[1]– إيزابيل إبرهاردت : ياسمينة وقصص أخرى ،المصدر السابق ،ص 28–27. ينظر أحسن دواس :المرجع السابق ،ص 212–214.ينظر، Mohamed Rochd: op cit, p180.

[2]. Edmonde CHarles -roux**: nomade j'étais**, bernard gasset, paris, 1995, p119.

[3]– بلعرج بوداود ، المرجع السابق ، ص 2.

المجهول إضافة إلى بساطة سكان سوف و طبيعته الساحرة مما جذبها بقوة للعيش في هذه المنطقة خاصة وأنها فقدت حنان الأسرة و هي في سن مبكرة جدا[1].

كما تعتبر الرحلة و المغامرة حلم طالما راود إيزابيل و هي بجنيف للتخلص من الرتابة التي تحياها، ولطالما أرادت و هي في سن مبكرة أن تعرف الأصقاع البعيدة وتذكر في كتاباتها أنها لم تخلق لتدبير الشؤون المنزلية ثم أنها لم يكن لها مثل تقتدي به و كل ما في الأمر أنها مشت وراء الاكتشاف وهي تعلم أن هذه الطريقة في العيش خطيرة، غير أنها تعتبر أن لحظة الخطر هي لحظة الأمل أيضا بالنسبة لها، [2] ثم لا ننسى الأيام التي عاشتها في الحي العربي بعنابة رفقة أمها حيث وجدت نوعا من الراحة و الطمأنينة في هذا الحي الشعبي ، فقد كان الجو العائلي بين سكانه يثير إعجاب إيزابيل، فمثل هذه المعاملات تترك في نفس الغريب نوعا من الحنين والرغبة في البقاء و الانتماء لهذه الأمة[3].

بدأت رحلاتها كساعية للبحث عن المعنى فوجدت نفسها منخرطة في محاولة التعرف على الإسلام أكثر فأكثر حسبما عاشه معتنقوه في بدايته، ودفعها ذلك إلى حالة من التأمل : " **أن يكون المرء سليم الجسد وصافي من كل دنس بعد الاستحمام بالماء العذب البارد وأن يكون بسيطا ومؤمنا لا يرقى إليه الشك ولا يحتاج للنضال ضد نزواته وأن ينتظر دون خشية وبصبر لا ينفذ ساعة الخلود الأكيدة**" وتضيف قائلة:" **كم أحسنت صنعا لما غادرت أوروبا ولما اخترت، بالأمس الوادي، مكانا للإقامة. لو أن حالتي الصحية تسعفني فأسبقى أطول مدة ممكنة بالوادي. خاصة، يجب أن لا أضيع الوقت من جميع النواحي، بالأخص من ناحية النمو الفكري والروحي والثقافي، إن شاء الله.**"[4] وفي ردها على من اتهموها بالجوسسة، تذكر دوافع أخرى،"...**أما أنا فلا أطمع إلا في العيش بسلام بعيدا عن الضوضاء العقيمة،...للعالم**

---

[1]– عز الدين عمراني: "تأثير المحيط الثقافي الاجتماعي لمنطقة سوف على إيزابيل"، **ملتقى إيزابيل إبرهاردت**، دار الثقافة الوادي ،6–7 ماي 1998.

[2]– بلعرج بوداود ، المرجع السابق ، ص 22.

[3] – معلم سبتي : المرجع السابق ، ص 42.

[4] إيزابيل إبرهاردت: **عودة العاشق المنفي**، المصدر السابق، ص12.

المتحضر أين لا أجد مكانا لي، أسيء لمن حين أفضل أفق الكثبان الرمادية، المتموج المبهم، على أنهج المدن الكبرى...لست متعاطية للسياسة، ولست جاسوسة لأي حزب كان لأنهم بالنسبة لي كلهم مخطئون في تخبطهم هذا، ما أنا إلا امرأة غريبة الأطوار، حالمة تريد أن تعيش بعيدا عن العالم المتحضر في حياة حرة بدوية ثم تحاول بعدها وصف ذلك..."[1]

ب- خط سير رحلتها إلى سوف:

غادرت إيزابيل وادي سوف بعد زيارتها الأولى لها سنة1899، واتجهت صوب بسكرة ثم باتنة ثم عنابة وتوجهت إلى تونس ومنها عادت في نفس السنة إلى مرسيليا حيث أقامت عدة أيام، قامت إيزابيل بعدة سفريات بين باريس و جنيف و مرسيليا التي قررت مغادرتها و العودة إلى الصحراء يوم21 جويلية 1900م، حطت بالجزائر العاصمة يوم 22 جويلية 1900م و كانت بداية علاقتها بالزوايا فزارت زاوية سيدي عبد الرحمان لأول مرة، ثم توجهت إلى قسنطينة فباتنة عن طريق القطار ثم إلى بسكرة عن طريق العربة، ثم إلى تقرت و منها إلى الوادي وساعدها في هذا التنقل رحلتها الأولى إليها، استأجرت إيزابيل بيتا في حي أولاد أحمد لتضمن الاستقرار و اشترت حصانا أسمته "سوف"[2] ليكون وسيلتها في خوض دروب سوف و تسجيل كل ما تراه عيناها وتسمعه أذناها، لتقدم لنا من خلال كتاباتها صورة عن المنطقة و أهلها.

[1] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص200.

[2] محمود بن عزة: المرجع السابق.

الفصل الثاني

الأوضاع الاجتماعية بسوف من خلال كتابات إيزابيل إبرهاردت

سكان سوف

الممارسات اليومية لسكان سوف

المرافق العمومية في سوف

المظاهر الحميدة في المجتمع

المظاهر السيئة في المجتمع

السياسة الاستعمارية ضد الأهالي

حطت إيزابيل الرحال في فردوسها الموعود "وادي سوف" بتاريخ **02 أوت 1900م**، الذي بلغ عشقها له، أن الذين عاشوا حياتهم في المنطقة تلك الفترة، لا يمكن أن ينافسوها في معرفتها له واطلاعها على أتفه جزئيات وتفاصيل الحياة لهذا البلد، فلم ينج من قلم إيزابيل إلا ما لم يقع عليه بصرها و سمعها . وتجدر الإشارة أن إيزابيل في مذكراتها كانت تسجل وتسرد بشكل عفوي فلم تُعنون أو تضع أبواب أو تصنيف معين في تدوينها و وصفها للمنطقة، لذا اجتهدت قدر استطاعتي أن أفعل ذلك. و قد كتبت إيزابيل عن الوادي متأثرة بجمال طبيعته قائلة :"**لقد وهبتني رؤيتي الأولى للوادي حالة من التجلي المطلق، وانطباعا نهائيا عن هذا البلد الشرس والرائع الذي هو سوف، من خلال جماله الغريب، وكآبته الكبيرة كذلك**"[1] ثم ترسم الوادي في كتاباتها، مقدمة لنا صورة تنم عن قدرتها الفائقة في الوصف، ففي طريقها إلى الوادي قابلتها واجهة المنطقة الغربية ورماس، التي وصلتها الساعة السابعة والنصف صباحا في فصل الصيف، عبرت أعلى كثيب بها، قضت قيلولتها في منظر ساحر بين الحدائق - الأرجح أنها تقصد بالحدائق غيطان سوف-[2]، وفي الوادي المدينة التي وصلتها الساعة السادسة مساء" وقت الغروب"استأجرت بيتا بحي اولاد أحمد، وبعد ترتيبه انطلقت إيزابيل في تجوالها بوادي سوف فهل أجمل من أرض سوف تحت ضوء القمر فيبدو الرمل شفافا، وتبدو حدائق السوافة قمع مفتوح على الجانب نحو المداخل والآبار، يبدو النخيل تحت ضوء القمر الأزرق والأخضر كأنه اختلاط الريش الدقيق بين جذوعه المنقوشة. فغيطان سوف قمع عميق جدا، يوجد بين سورين من الجريد اليابس – تقصد الطابية– يقيانه من الترمل.[3] أما عن منظر الغروب في سوف الذي يميزه قرص الشمس الأحمر الساقط خلف الكثبان، وترتسم المنازل في صورة ظليلة رمادية دقيقة على تأجج الغروب، يغمره الذهب الناصع، [4]تمسي المدينة كأنها مواقد مشتعلة حمراء بنفسجية على القباب الصغيرة المدورة، وتيجان النخيل المبعثرة، وميض من الحريق يزحف ليعطي

[1] إيزابيل إبرهارت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص127.

[2] نفس المصدر، ص13.

[3] نفس المصدر، ص17.

[4] نفس المصدر، ص22.

المدينة الرمادية إشعاعا احتفاليا رائعا، تكون الوادي وهاجة أو باهتة، فشمسها تعطيها من لونها، فتكون وردية أو ذهبية عند الأسحار الشفافة الصافية، فاقعة كالجمر عند منتصف النهار الملتهب، أقحوانية بنفسجية عند الأمسيات الساحرة، زرقاء كأنها شفافة تحت ضوء القمر العجيب، ثم رمادية ككومة رماد تحت السماء الباهتة في الشتاء.[1] أحبت إيزابيل طبيعة الصحراء في سوف فكتبت فيها:"... **وأنا متشردة تائهة واحدة من أعمق المشاعر التي أحسستها. هيهات، ما من منزل، يمكن أن يعوضني عن صحرائي وأفقي المبهم المتموج والأسحار اللطيفة في اللانهاية الرمادية وغروب الشمس الذي يدمي المدن الصغيرة المتهاوية ذات الأسماء الغريبة... لا شئ بإمكانه مضاهاة ليالي صحراء الرمال المقمرة في روعتها وسحرها...**"[2]" أنظر ملحق رقم5"

بعد هذا الوصف الذي قدمته إيزابيل عن الطبيعة بسوف، تسترسل في ذكر كل ما يحمله هذا الإقليم، وخاصة الحياة الاجتماعية التي كان سكانه يحيونها، و لم تعط إيزابيل إحصاءات أو أرقام خاصة بالسكان أو القبائل المشكلة للنسيج الاجتماعي في سوف، بل اكتفت بوصفهم فقط.

أولا: سكان سوف:

يتشكل سكان سوف الذين بلغ تعدادهم سنة 1900م 31.128 نسمة، وهم منقسمين بين بدو وحضر، وأهم القبائل المكونة للنسيج الاجتماعي هي:الأعشاش، المصاعبة، الطرود، الشعانبة وهي قبيلة نزحت من ورقلة، و أولاد سعود الذين ينتمي إليهم أهل قمار، كوينين، تغزوت، ورماس و سيدي عون الدبيلة، الزقم والبهيمة يعيش السوافة بالطريقة الأكثر ديمقراطية، فلا يوجد بينهم عائلات تمكنت من فرض نفسها كما في أماكن أخرى.[3]

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص128.

[2] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص79.

[3] جستون كوفي: المرجع السابق،ص،ص88،91،90.

1-الرجل:

لقد صورت إيزابيل الرجل في سوف، كأنها تضعه في تصنيف –أحيانا بحسب المهنة

و أحيانا بحسب تصرفاته و أخلاقه– فقلد ألفت إيزابيل عدة شخصيات في يومياتها بالوادي فتحدثت عن الملازم الفرنسي "**ليمتر/ lemaitre**" الذي يصرخ أمام المحلات التأديبية بكلمات مستعارة من العربية، أما الملازم"**قيلو/guillo**" يعود للبيت منضبط الهندام، الرقيب "**عثمان**" فظ الطباع وهو يضرب سلوقي الثكنة الصغير، ثم ذلك القناص المجنون دائم السكوت وسبحة سيدي عمار في يده، أما الصبايحية تراهم غالبا من على صهوة خيولهم دون سروج وهم يستعرضون أمام المارة[1]، أما العريف "**سعيد**" فهر رجل عقيدة و واجب، "**السلامي**" شيخ مقلق يتظاهر برتبة عريف، "**مبارك**" الخائن، أشقر مجنون، القواد الأبله "**السعيد زمولي**"، :**منصور**" السكير المازح، **بن شعبان المتطفل الدنئ، علي الشعنبي بمظهره المشبوه، "نصر بن عياشي**" الشيخ الجبان، "**حنوشي**" الأبله، "**الطاهر بن مراد**" المجرم ذو المظهر الوديع، الخياط "**عمر الوسيم**"، "**السعودي**" الثقيل الظل الذي هو من أولاد الدراج، "**سليمان بوخليف**" الخادم الدنئ والسكير السارق، "**ولفاتي**" ذو اللحية التي تشبه لحية حاكم هندي، "**دحمان بن برني**" رجل المغامرات النسائية، شرس منزو كأنه قاطع طريق، "**خليفة**" بغليونه الصغير وكيس الكيف.[2] **ذكرت الكتابة هؤلاء الرجال بهذا الترتيب في مذكراتها وكأنها تريد وضع عنوان للصفحة التي سجلتهم فيها (رجال سيئون)إذا استثنينا العريف سعيد. والملاحظ لأسماء ومهن هؤلاء الرجال يرى أنهم قسمين: بين أجانب عن سوف(فرنسيين وعرب ربما يكونون عبيدا أو مجندين في الجيش الفرنسي) و القسم الثاني هم أهل المنطقة الأصليين.**

يتميز رجال سوف بالبشرة السمراء وقسمات الوجه الشرسة التي تنم عن الجدية في حياتهم عيونهم بها حمرة – بسبب طبيعة المنطقة الصحراوية التي يميزها حرارة الشمس وتطاير

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص70.

[2] نفسه.

الرمال– [1] قاماتهم طويلة[2]، يعودون كل مساء إلى المساكن الرمادية، ذات القباب أو يجتمعون على الحصائر في المقهى، بعد صلاة المغرب.[3]

2–المرأة:

النساء في سوف أكثر سمرة من الرجال، على وجوههن وشامات زرقاء[4] الفتيات والشابات الصغيرات السن منهن قسماتهن بارزة ومتناسقة، سمرتهن داكنة وعيونهن واسعة يبدو عليها الحذر[5]، تميل قاماتهن إلى الطول نحيفات رشيقات أما المسنات فوجوههن مجعدة **تحملن** فوق رؤوسهن ضفائر كثيرة من الشعر المصبوغ بالحناء.[6]

أما النساء الأوروبيات في سوف، فهن تلك المومسات شنيعات السمعة خريجات الأماكن السيئة، يتبرجن أمام مقر البريد وفي النادي– المكان المخصص لاستراحة الضباط–وحتي في بيرو عرب.[7]

لم تذكر إيزابيل لون الشعر الذي يميز النسوة صغيرات السن في سوف، ربما ذلك راجع لوضع غطاء على رؤوسهن بقصد السترة، رغم أنها تذكر عن بعض نساء سوف اللاتي يمارسن الدعارة خروجهن متبرجات في أزقة الوداي كما سيأتي ذكره لاحقا.

لا يختلف وصف إيزابيل الفزيولوجي للسوافة عن الوصف الذي يصفهم به النقيب كوفي "...**بدت لي قاماتهم أطول من المتوسط، يبدو لونهم داكنا جدا، أطرافهم السفلى خاصة سمراء ضاربة إلى البنفسجي بسبب انعكاس الرمل الملتهب عليها بصفة دائمة...شعر**

[1] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص65.

[2] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص129.

[3] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص143.

[4] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص176.

[5] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص66.

[6] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، نفس المصدر، ص66.

[7] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، نفس المصدر، ص76.

رؤوسهم ولحاهم أسود و أعينهم سوداء أو بنية داكنة...قسماتهم دقيقة...يدلنا طول الرأس على أصولهم الشرقية..."[1]

3-**العبيد:**

لم تتكلم إيزابيل عن هذه الفئة بشكل واضح، وقد ذكرتهم عرَضًا في حادثتين: الأولى في الاحتفال بعودة الشيخ الهاشمي الشريف، "...**أتيحت لي الفرصة بأن أشارك في واحد من أروع المهرجانات التي رأيتها: عودة الشيخ القادري الكبير، سيدي محمد الهاشمي بن ابراهيم،...منذ الفجر انطلقنا تصحبنا- نوبة- سودانية بمزاميرها وطبولها...**"[2]وبما أن الكاتبة لم تتحدث عند السودانيين كجزء من النسيج الاجتماعي يعيش بالحي الذي تقطنه أو غيره من الأماكن التي زارتها في مذكراتها، فالراجح إذا أن العبيد كان مقتصر تواجدهم بالزوايا كخدم أو كمؤدين لطقوسها. إضافة أن سوف كانت مستعمرة من طرف فرنسا – الإدارة التي استعبدت سكان المنطقة- الذين سخرتهم لخدمتها فلا حاجة لوجود عبيد أجانب. و الشئ الثاني أنا سكان المنطقة ذوي عيش بسيط زاده الاستعمار بؤسا، فمن أين سيأتي بأجرة العبيد. أما الحادثة الثانية التي تذكر فيها الكاتبة العبيد، فهي "... **طلب القبطان مقابلة جاك**[3]**.....حذرتك يا دكتور عدة مرات من تصرفاتك غير اللائقة بمقامك و مهنتك...أرجوك إذا اقطع هذه العلاقة وإلا سنصبح موضع سخرية**[4]**.. .احتج جاك على ذلك...لماذا ضباط آخرون في البرج لديهم زنجيات في بيوتهم، أهداهم إياهن رؤساء الأهالي؟..."**[5] وهنا إشارة إلى وجود الإماء الزنجيات، فلو كن حرائر ما تهادينهن رؤساء الأهالي والضباط في ما بينهم.

---

[1] جستون كوفي: المصدر السابق، ص79.

[2] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص95.

[3] جاك: طبيب فرنسي برتبة نقيب قدم إلى سوف وكلف بهمة التطبيب في المستشفى العسكري، كانت علاقته بالأهالي طيبة تعرف على إحدى نساء سوف" مباركة" وربطته معها علاقة حميمية.ينظر: قصة **النقيب**، إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص-ص61-81.

[4] لم يقصد القبطان بالسخرية أنه يحافظ على شرف وأعراض الأهالي، فلو أقام الطبيب علاقة مع أوروبية لكان الأمر عاديا، إنما يقصد العار الذي سيلحق بفرنسا حين تربطها أي علاقة مع السكان دون التسلط الاستعماري والمعاملة الدونية لأهل سوف.

[5] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص76.

ثانيا: الممارسات اليومية لسكان سوف

يقضي الرجل نهار يومه في خدمة الغوط الذي يوفر أهم الموارد في معيشة السكان، "ينظر ملحق رقم8" أما في الليل فتجده يثابر متحديا الرمال التي تدفعها ريح سوف نحو النخيل، بسواعدهم وعلى أكتافهم يحملون قفف الرمال، يؤدون هذا العمل الشاق بغنائهم الحزين اللطيف، يصنعون بهذا التحدي ضد الطبيعة أقماع واسعة بين الكثبان، بأعماق متفاوتة حسب المياه الباطنية. لتتشكل حدائق النخيل التي تتوسطها الآبار بهياكلها المصنوعة من جذوع النخل بقُبَانها وثُقَالها على أحد أطراف الهيكل حجر كبير بحبل وعلى الطرف الآخر" عومارة" من جلد، نوع من القفف المسطحة معلقة في طرف حبل.[1] تقصد الكاتبة بوصفها هذا أداة "**الخُطَارَة**" التي يستعملها السوافة لاستخراج الماء من البئر. كما يقضي السوافة أوقاتهم في حرفة صنع الجبس[2] هؤلاء هم الحضر أم البدو فيقضون أغلب أوقاتهم في الرعي.

أما النساء في سوف فيزاولن الأعمال المنزلية اليومية تذكر إيزابيل اثنين منهما: ورد الماء من الآبار وسط الغوط ،"... **نساء قليلات العدد، يرتدين لباسا أزرقا رثا، مظهره إنجيلي، يعدن إلى المنازل ينحنين تحت القرب أو القُلَل الشبيهة بتلك التي، قبل آلاف السنين، كانت تحملها نساء جنس سام لما كن يغترفن الماء في الينابيع الكنعانية، كل هذا تحت الوميض الوردي، البنفسجي...**" [3]

ذكرت الكاتبة عادة ورد الماء مرتين وتشير فيهما إلى وقت الغروب الذي تخرج فيه السوفيات لإحضار الماء، وهذا دليل على حرصهن على الحياء و الستر، لأنه وقت تقل فيه الرؤية. كما تعمل نساء سوف على المواظبة اليومية في إعداد الطعام الذي يعد القمح مصدره الأول."...**ولدت تاسعديت هنا في الوادي....لقد بلغت سن الحادية عشر...كانت تقوم بالأعمال المنزلية اليومية المتعبة فتدق القمح بالرحى الثقيلة في دوار لا نهاية له...**"[4]

---

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص142.

[2] إيزابيل إبرهاردت:نفس المصدر، ص.

[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص68.

[4] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص147.

قدمت إيزابيل وصفا يعتبر مدحا للسوافة يضعهم في خانة الشعوب النشطة المعطاءة باستثناء تلك الأوصاف السيئة لبعض الرجال والنساء التي لا يخلو منها أي مجتمع في أي حضارة كان، ويضيف النقيب جستون كوفي في مدح أهل سوف، ويعتبرهم في مجملهم الأكثر بشاشة في إفريقيا الشمالية، وهم قوم هادئون طيبون، منفتحون يسهل التواصل معهم، أذكياء ومسالمين بطبعهم وليسوا كسالى بالمرة، بل بالعكس يقضون نشطون، يتكلمون ويمزحون ويضحكون كثيرا، الجدية و المثابرة يشكلون أحد الطباع الأكثر بروزا لهذا الشعب الصغير، و أبدا لن يتهرب السوفي من العمل، وفي ساعات النهار الأكثر حرارة تراه منشغلا في زراعة حديقته، السوفي مشاء مقدام، على استعداد دائم للرحيل لا يركب حصانا و لا حمارا ، الرجل حافية، يسند خصره حزام، يحمل في يده عصا و يغامر في الصحراء دون خوف، طريقة مشيه بين الخطوة العادية والركض، وما يشد الانتباه أكثر الأمانة المتأصلة التي يتصفون بها.[1]

1- المأكل

بسبب الطبيعة الصحراوية لسوف التي لا تتوفر لا على أودية ولا أنهار، يعتمد السكان في توفير ماء الشرب على مخزون المياه الجوفية بالمنطقة، وتتمثل –**ينابيعهم**– في الآبار التي حفروها داخل الغيطان بالنسبة للحضر، أو على مر الطرق الخالية في الصحراء بالنسبة للبدو.

أما الطعام فيأتي في مقدمته التمر – رغم أن الكاتبة لم تذكر ذلك– لكن بالمقارنة مع التواجد الكبير للغيطان في سوف، والاهتمام المنقطع النظير الذي يُليه الفلاح بالنخلة، كما ذكرنا سابقا – رفع الرملة– فالاهتمام بها هو حرص على منه توفر الغذاء بصفة دائمة فمن المعروف أن التمر غذاء كامل ويخزن لفترات طويلة بالخوابي، لضمان تواجده على مر الفصول بالبيت السوفي. ثم يأتي مصدر الغذاء الثاني الذي لا يقل أهمية عن الأول، القمح "**... كانت تقوم بالأعمال المنزلية اليومية المتعبة فتدق القمح بالرحى الثقيلة في دوار لا**

[1] جستون كوفي: المصدر السابق، ص،ص 81،82.

نهاية له..."[1] وفي هذا إشارة للحاجة اليومية لمادة القمح، و طعام السوافة الذي يصنع من القمح، هو الكسكسي و الخبز،"...**وهكذا طيلة اليوم والقلب في حيرة وسؤال. هل سيأتي لهم دووهم بشئ من الخبز أو الكسكسي؟...**"[2]"... **لم يكن لدي سوى قطعة من الخبز العربي...**"[3] والراجح هنا أن الخبز الذي تقصده، هو كسرة الملة، حيث تقول في موضع آخر"... **سارا أربعة ليال يأكلان التمر وملة ...**" [4] يصنع أهل سوف من القمح أكلة الدشيشة فتصفها الكاتبة"...**في رمضان... يسكب الطاهر الشربة في الصحن...**"[5] كما يأكل أهل سوف لحم الأرانب، "...**كنا نقضي أياما في صيد الأرانب البرية...**"[6] وتضيف"...**بعدما ربطنا في شكل كرة الأرانب البرية ووضعناها في فروها بقاع الحفرة، تحت طبقة من الرمل، ثم أشعلنا فوق ذلك موقدا من الأعشاب...**"[7] وبما أن السوافة يمتلكون ثروة من الأغنام والماعز فلابد أنهم يشربون حليبها ويأكلون لحمها، خاصة السكان البدو الرحل، كما تعطي هذه الثروة الحيوانية مادة السمن،"...**أتيت إلى السوق أين بعت حقة من السمن وكان عليا انتظار قبض الثمن...**"[8] تروي لنا إيزابيل عن ليلتها التي قضتها في الحمراية والتي نستنتج منها مصدرا آخر لطعام سوف، وهو ثمار الأشجار و المزروعات،"...**بتنا ليلتنا في سطح الحمراية، حديقة الحمراية أرض وحلة،...بعض من النخيل، أشجار تمر الهند التين في المستنقع على الشمال الغربي من البرج...**" [9]ربما تقصد بالتمر الهندي، التين المشوك، فلا أعتقد أن التمر الهندي ينبت بأرض سوف. أما ثمار المزروعات الأخرى فهي،"...**ترى النخيل...جذوعه الجميلة المنقوشة تنتشر زراعة خضراء من البطيخ الأخضر و الأحمر من النعناع**

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص147.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص132.

[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر،ص183.

[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص190.

[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص65.

[6] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص181.

[7] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص186.

[8] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص133.

[9] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص55.

الفواح..."[1]"...داخل الحدائق يفترش الجزر والفليفلة بساطا أخضر ناصع..."[2] وتضيف،"...يسترجع لونه الزاهي الجزر، الفلفل، النغناع والأعشاب الأخرى تنشر بساطا أخضر لا معقول ..."[3] "...أرض سوف خصبة جدا وتعطي بطاطس رائعة...لا أحد يزرعها هنا سوى بيرو عرب وبعض الضباط..."[4]

لم يختلف كوفي في وصفه طعام السوافة عن ما وصفته إيزابيل، إذ يعتبر التمر الثروة الحقيقية لدى السوافة و هو أيضا أساس تغذيتهم، إضافة إلى حليب نوقهم ونعاجهم وماعزهم وبعض الخضر التي يزرعونها في حدائقهم، و سمك الرمل و بعض درنات الذانون –الجعفيل– وكمأة الصحراء –الترفاس– وهو نادر جدا في سوف كما يأتي تجار سوف بالقمح والشعير من التل كمصدر آخر لغذائهم و يعد الفول طعام السوافة الشهي، ويتناول أهل سوف ثلاث وجبات في اليوم حسب النظام التالي:عند الصباح شيء من التمر ثم أدخل الشاي على هذه الوجبة وكسرة من الخبز العربي، عند منتصف النهار تمر أيضا يصاحبه شيء من الحليب، في المساء أي وجبة العشاء بعض من مستحضرات من حبات الحبوب أو السميد أو الفرينة مثل الكسكسي، دشيشة، محمصة، عصيدة، إضافة إلى اللحم، وعموما الطبخ في سوف ليس به تكلفة مثل طبخ أهل التل.[5]

2- اللباس

تقول إيزابيل:"...**اخترت لباس أهل الصحراء المهيب ونزعت ثياب تونس القديمة الضيقة...**"[6] مما سبق نلاحظ أن لباس الصحراء فضفاض يتماشى مع الطبيعة الصحراوية خاصة في حر الصيف. ومادته الأولية هي الصوف لتوفره بكثرة في المنطقة.

[1] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص168.
[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص26.
[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص67.
[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص94.
[5] جستون كوفي: المصدر السابق، ص،ص95،96.
[6] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص90.

لباس المرأة في سوف مراع للحشمة و الحياء، فتقول إيزابيل عند نزولها ببيت صديقها و اسمه الحبيب "**منزل الحبيب في أحد الأزقة الضيقة والملتوية...زوجة الرجل المسن، ترتدي لحافا طويلا أبيض وتحمل فوق رأسها عبئا كبيرا، ضفائر من الشعر الأسود، ضفائر من وشراب من الصوف الأحمر من أذنها تتدلى حلقات من حديد، تشدها حبال رقيقة معلقة على شعرها. عندما تخرج ترمي فوق كل هذا لحافا أزرق...**"[1] وفي موضع آخر تضيف"...**المسنات منهن وجوههن مجعدة... وقد سقطت أسنانهن، تحملن فوق رؤوسهن ضفائر كثير من الشعر الأبيض المصبوغ بالحناء و أخرى من الصوف الأحمر وحلقات ومناديل...الصبايا..تكسوهن على الطريقة العتيقة، ملحفات زرقاء داكنة كأنها سوداء...**"[2]"... **بعض النساء الملتحفات بالأزرق يرجعن منحنيات تحت القرب المملوءة بالماء...**"[3] الميز في لباس المرأة إذا هو ذلك اللحاف– الملحفة– ذات اللون الأزرق، تستعمله نسوة الوادي خارج المنزل، ذلك أنه يضمن ستر أجسادهن، عن الغرباء بحجمه الطويل الذي يلف كامل الجسد، ولونه الداكن حتى لا يكشف جسم المرأة تحته. كما أن وصفها لشعر المرأة جاء في موضعين: الأول المسنات منهن شعرهن أبيض، فكشفها لشعرها لا يعد تبرجا نظرا لسنهن المتقدم والثاني، في بيت الحبيب، تلك المرأة ذات الشعر الأسود، حيث لا يعتبر كشف المرأة لشعرها داخل بيتها مخالفا للستر، و لم تصف شعر الشابات اللاتي قابلتهن بالمستشفى العسكري، ذلك دليل على حرص الصبايا على الالتزام بستر كافة الجسم أثناء خروجهن، عدا الوجه الذي كانت إيزابيل دقيقة في وصفه كما ذكرنا سابقا. لكن تذكر في موضع آخر "...**لماذا تواري النساء وجوههن؟ ولماذا هن قليلات في المدينة؟...**"[4] يبدو أن بعض النسوة كن لا يكشفن حتى عن وجوههن، تحليا بنوع من الحشمة. بالنسبة للحلي تذكر إيزابيل نوعان

[1] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص15.

[2] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص66.

[3] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص35.

[4] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص176.

الأول: **المْشَرَف** وهو قرط يلبس في الأذن على شكل حلقات كبيرة، والثاني **الأساور**، "...**فجأة سمع امرأة تغني على إيقاع تصاحبه طقطقات أساور...**"[1]

أما لباس الرجل المدني في سوف، فإن إيزابيل لم تذكر غير الوصف الآتي"...**ترتدي مجموعة من الرجال برانس ترابية اللون، عيونهم ملتهبة تحجبها نقابات وسخة بالية...**"[2] "...**لمحت أمام الإشعاع الاحتفالي ظل عربيين يلبسان الأبيض...عودة إلى الأزمنة القديمة للإنسانية البدائية...**"[3] وبالتالي لباس الرجل السوفي، ميزته البساطة، في مادة الصنع وهي الصوف، وفي اللون الذي لم يتغير عن الأبيض، فاللون الترابي الذي ذكرته، هو الأبيض الذي تغير بفعل التقادم وعوامل الطبيعة. و بالنسبة للنقابات الرجالية التي ذكرتها، فهي العمامة أو –اللفافة – السوفية التي يقي بها الرجل رأسه و وجهه من أشعة شمس الصيف، برد الشتاء القارص و غبار الرياح. وتذكر إيزابيل القندورة – القدوارة – في موضع واحد وهو، "...**ذلك الفارس الذي يرتدي قندورة وبرنسا أبيضين، يحمل في رقبته سبحة القادرية السوداء ويده اليمنى معصبة بمنديل أحمر ليتمكن من لجم الفرس جيدا...**"[4] و تحدثت إيزابيل عن لباس **الصبايحة** أو **السباييس**، "...**كان يمتطي حصانا...سترته الحمراء والعباءة البيضاء المشدودة بالحبال السوداء...**" [5] **وتضيف**، "...**ثم برنسا أحمر مُرَصَعٌ في مُقدمته بشريطين ذهبيين...**"[6] لم يقتصر اللباس المدني في سوف على الوصف الذي قدمته إيزابيل، فلم تذكر تفاصيل أخرى عنه تعطي صورة أوضح لما كان يرتديه السوافة، لكن كوفي فصل في هذا الأمر و كان أكثر شرحا في وصفه، القطعة الرئيسية في لباس الرجل هي القندورة التي يحتفظ بها وحدها في أغلب الأحيان أثناء العمل في النهار، غالبا ما يصاحبها قميص داخلي وسروال، تكون هاتان القطعتان من القماش القطني، و كلباس خارجي يرتدي السوافة البرنس المصنوع من الصوف

[1] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص70.

[2] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، نفس المصدر، ص65.

[3] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص22.

[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر،ص90.

[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص147.

[6] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص90.

الرفيع، كل هذه الملابس بيضاء لأن الناس لا يلبسون الألوان الأخرى ما عدا الشاشية الحمراء فوق رؤوسهم، أو طاقية محبوكة من القطن الأبيض، تصنع هذه القلنسوات عند أولاد سعود وتبدو و كأنها عادة تونسية، وبما أنها قابلة للغسل فإنها تحفظ الشاسية و العمامة من الاتساخ وينتعل الرجل خفان من الصوف الأسود والأبيض وهو العفان، كما يميز لباس الرجل في سوف وضع حزام منسوج من شعر الماعز الأسود ومن الصوف الأبيض حيث يشكل رسوما هندسية تتم على ذوق حسن ويختص بذلك طرود عميش..[1] "ينظر ملحق رقم8"

أما النساء، فيلبسن ملحفة من مثبة على الأكتاف بواسطة إبزيمات، تكون من قماش الغينية الأزرق أو أقمشة مماثلة، حين يخرجن يضعن لثاما أزرق، لكنهن يكتفين داخل البيوت بالبخنوق، ويكون عادة من الصوف الأسود يلففنه حول رؤوسهن، و عوض أن تلبس النساءعند الربايع والشعانبة اللباس القطني الأزرق فإنهن يرتدين لباسا من القماش القطني الأبيض، فصفاء الرمل الصحراوي يحتفظ لمدة بنظافة هذا القماش.[2]

4-الزواج

تُزَوج العائلات السوفية البنت في سن مبكر جدا، دون استشارتها أو مراعاة لمطابقة العريس لرغبات البنت، "... **لما بلغت سن الحادية عشر...ذات يوم ودون أن يدخل الفرح إلى قلبها الخائف، زوجها أهلها لأحد تجار الوادي، رجل عجوز لا تعرفه...اعترى نفس تاسعديت المظلمة...شعور تولد عن الخوف والاشمئزاز من هذا الزواج الجبري...**"[3] يتم عقد القران أمام الجماعة أو أمام القاضي، "...**هل أنتما متزوجان أمام القاضي أو حتى أمام الجماعة...**"[4] تدق الطبول احتفالا بهذا الزواج، "...**حاولت الثورة على ذلك الزواج الجبري، إلا أن تخبطها كتمته دقات البندير المدوية في الخارج...**"[5] "... **حين تتزوج فتاة، يحملها الرجال على أكتافهم إلى بيت الزوجية. زوجها يتسلل سبع ليال ليرى زوجته.يأتيها بعد المغرب ويغادرها**

[1] جستون كوفي: المصدر السابق، ص،ص96،97.
[2] جستون كوفي: نفس المصدر، ص97.
[3] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص147.
[4] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص152.
[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص147.

قبل الصبح.بقايا الاختطافات القديمة."[1] تسكن العروس في بيت أهل الزوج، "**...كانت في ذلك اليوم وحيدة كعادتها، زوجها غائب والعجوز نائمة – حماتها** –..."[2] يعتبر وجود الحماة فقط في بيت الزوج أمر استثنائي، في هذه الحالة، لأن العروس الجديدة في سوف، تجد نفسها في بيت زوجها فردا آخر ضمن أسرته الكبيرة العدد، و من واجب الكنة الجديدة إبداء الاحترام نحو أهل زوجها و إلا فُكَت الرابطة الزوجية بتطليق تلك الزوجة. "**...فأصبحت وقحة لا تقوم بالأعمال المنزلية وتضطهد حماتها العجوز...تعب الزوج من تصرفات تاسعديت فطلقها..."**[3]

ومن الجدير بالذكر أن البدو لا يتزوجون من خارج القبيلة في سوف. "**...نحن عرب البادية لا نتزوج أبدا من خارج القبيلة..."**[4] كما تنتشر في سوف ظاهرة الزواج عن طريق الخَنَا، وهو تلاقي البنت بالشاب في السر في الغيطان، والاتفاق على الزواج، ويصل الحد ببعض الشباب أنه إذا رفض من قبل أهل الفتاة فإنه يقوم باختطافها والزواج بها في مكان سري، ، فما على أهل البنت إلا تقبل الأمر الواقع.[5] لم تكتب إيزابيل عن بعض التفاصيل الأخرى في الزواج عند السوافة، وبالعودة لما جاء في رسالة الدكتوراه للأستاذ علي غنابزية، الذي لم ينف ماذكرته إيزابيل عن الزواج في سوف بل يؤكد على ذلك و يضيف أن الزواج يمكن أن يكون عن طريق أولياء الأمور، أو نسوة أسرة العروسين، أو إحدى النساء –الخطابة– و هدية العرس في سوف تكون بسيطة وتتمثل في بعض الألبسة والخضر أو بعض الحيوانات كالخرفان، أو بعض النقود، وذلك حسب المستوى المعيشي للأسرة، ويتم الاحتفال بالزواج في سوف على إيقاع المزامير والدفوف– المحفل–.[6]

[1] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص19.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص148.

[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص149.

[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص186.

[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص146.

[6] علي غنابزية: المرجع السابق، ص،ص329،331،333.

ثالثا: المرافق العمومية في سوف

كانت وادي سوف مطلع القرن العشرين تحتوي على بعض المرافق، من بينها:

1- **المدرسة:** وهي مدرسة فرنسية جعلتها فرنسا لتعليم أبناء المنطقة يغلب على منهاجها التعليم الفرنسي، حيث أن فرنسا ألغت التعليم العربي والاسلامي"...**على اليمين خلف البهو،...مبنى المدرسة الرمادي -الكوليج -كما يقولون هنا...**"[1] وقد تم فتح أول مدرسة بمدينة الوادي و أطلق اسم مدرسة الأهالي و ذلك سنة1886م، ووصل عدد المتمدرسين بها سنة1900م إلى178تلميذا جلهم أبناء المشتغلين بالإدارة الفرنسية.[2]

2- **عيادة طبية:** ذكرت هذا المرفق في موضعين الأول: "...**وهكذا نظم حياته...كان عليه الذهاب، في الصباح، إلى بيرو عرب، لعيادة المرضى المدنيين...**"[3] أما الموضع الثاني،"...**في المستشفى العسكري...من على السرير تقابلني ورقة بيضاء معلقة على الحائط كتب عليها (ملحقة الوادي- المستشفى العسكري-قانون مصلح الصحة)....تنتهي هذه الورقة بهذه العبارة(عقوبات تأديبية للمرضى المدنيين)**[4] من خلال ما سبق يبدو أن بيرو عرب كان به جزء خصص كعيادة للمراقبة والفحص اليومي للوضع الصحي للأهالي، الذين يبدو أنهم كانوا غير ممنوعين من التداوي في المستشفى العسكري- ربما في الحالات التي تجب المكوث في المستشفى-.

3- مركز البريد: هذا المرفق ذكرته إيزابيل"...**أوروبيات...يتبرجن بوقاحة أمام مركز البريد...**"[5] "...**البارحة لما صعدت إلى هناك...أشكال رمادية، أرجوانية تمر أمام مقر البريد...**"[6]

---

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص69.

[2] موسى بن موسى: المرجع السابق، ص104.

[3] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص65.

[4] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص72.

[5] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص76.

[6] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص29.

4-السوق: يتوسط حي الأعشاش، يتوسط هذا السوق بئر الخطارة[1] يحتوي هذا السوق على عدة دكاكين تتراص تحت قباب الجبس كأنها خلايا النحل، أو مثل أحياء قصبة العاصمة[2] "ينظر ملحق رقم7"

5- **المقهى:** ذكرته في عدة مرات في مذكراتها من بينها "...**بالأمس كنت متمددا أمام قهوة حمه علي...**"[3] ، "...**يجتمعون على الحصائر في مقهى بلقاسم بباشي ...**"[4] و من هنا يتضح أن المقهى كان مرفقا للاستراحة واللقاءات عند أهل المنطقة."ينظر ملحق رقم11"

رابعا: المظاهر الحميدة في المجتمع

تحدثت إيزابيل بعض من هذه المظاهر الطيبة للمجتمع في سوف و هي:

1- التكافل الاجتماعي: فتذكر النوع من التعاون خاصة في المساعدة التي قدمتها لها الزاوية القادرية، "...**أخيرا ظهر الشيخ...انتظرت بفارغ الصبر حتى ينتهي الزوار من تحية سيدي لمام...ثم لما ذهب الشيخ ليأمر بتقديم العشاء وليحضر لي ما طلبت...**"[5] **وتضيف في مرة أخرى،**"...**غمرتني سعادة عميقة بعثوري على إخوة في هؤلاء البدو، بين أتباع الطريقة القادرية...التضامن شئ إجباري، ...**"[6] هذه الظاهرة ذكرتها مرتين، ربما راجع لتعلقها الكبير بالزاوية القادرية، التي قدمت الكثير بالنسبة لإيزابيل،"...**سكت الشيخ طويلا،...رجع بعد لحظة ووضع المال – 170فرنكا –...وقال ربي هو الذي يدفع الباقي...**"[7] وربما أن مثل هذا النوع الإنساني في التعامل غير موجود في أوروبا المادية كما كانت تسميها، فجعلها تعجب بهذه الظاهرة وتعتبرها استثناء ويمكن أن يكون ذلك راجعا لفقدانها لأسرتها وعيشها وحيدة.

---

[1] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص17.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص130.

[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص132.

[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص143.

[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص43.

[6] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص185.

[7] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص33.

2- الإيمان بالقضاء والقدر: في تروي إيزابيل قصة زواج رجل من البدو (نفسه الذي ذكر أن البدو لا يتزوجون من غير قبيلتهم)، "...**اسمع القصة وسترى أن مكتوب الله لا يرده شيء...**"[1] حيث تروي قصة هذا الرجل كيف تزوج من امرأة ريغية، عن طريق الصدفة. لكنه آمن بقضاء الله وقدره. ثم تضيف، "...**امرأة...تجيد تطبيب كل الأمراض أو على الأقل ما سمح الله به أن يشفى ...**"[2]

2- نبذ الحرام: نستدل على هذه القيمة الأخلاقية الحميدة بهاتين المقولتين:"...**يصيح مرعوبا أتركني أقتل عدوة الله وعدوة مخلوقاته،...إنها ساحرة ملعونة...**"[3] وفي موضع آخر،"...**لم يمن الله علينا بالأطفال...ربما لأننا بدأنا في الحرام...**"[4]

3- **إفشاء السلام:** "...**كان بعضهم يبادل بوسعيد التحية وهم لا يعرفونه... هل تعرفهم؟ في ديننا من العادة أن نحي بعضنا دون أن تعارف...**"[5] نظرا للوصف الذي قدمه النقيب كوفي **عن** السوافة والذي ذكرناه سابقا، يدل على وجود مظاهر أخرى حميدة في المجتمع لم تذكرها الكاتبة، مثل التعاون والعمل الجماعي – التويزة- لدى الرجال والنساء سواء في الغوط كرفع الرملة وجني التمور أو في البيوت من طرف النساء خاصة في المناسبات الاجتماعية كالزواج، أو النسيج...الخ وفي المقابل كما توجد المظاهر الحسنة توجد السيئة داخل المجتمع، و تحدثت إيزابيل على بعض منها.

خامسا: المظاهر السيئة في المجتمع

تعاطي الحشيش: المسكرات والمخدرات ظاهرة مستفحلة في المجتمع السوفي، تقول إيزابيل عن ذل، " ...**و أخرج مطوية (وهو كيس من الفلالي يوضع به الحشيش) و غليونه الصغير. أنا**

[1] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص187.
[2]. إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص187.
[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص135.
[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص192.
[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص176.

أيضا أحمل في جيب قندورتي علامة السوفي الحقيقي، بدأنا التدخين..."[1] **وتضيف في مقولة أخرى، "...وها هو خليفة أيضا،غليونه الصغير وكيس الكيف..."**[2] بالعود لعبارة علامة السوفي الحقيقي، نلاحظ أن تعاطي الحشيش ينتشر بشكل كبير في المجتمع وهو سمة الرجال وعلامة على الرجولة عندهم، فلم تذكر أن النساء تعاطينه باستثنائها هي لأنها كانت تخالط الرجال أكثر من النساء، ويبدو أنها أخذت هاته العادة السيئة منهم.

1- تعاطي الدعارة: هذه الظاهرة تنتشر في سوف، ومنها المقننة ومنها ما كانت في السر، وترويها "**إيزابيل**" في مذكراتها في عدة مواضع منها، حوار رئيس الملحقة مع أحد النساء"... **حتى عندما تريدين أن تكوني داعرة تلزمك رخصة..."**[3]مثلما كان بيت عمر بن ضيف الله "**...تذهب مباركة لزيارة صديقة لها...وحين كانت عائدة سبها عمر بن ضيف الله صاحب بيت الدعارة..فردت مباركة...تدخلت نساء محل الدعارة في الشجار أدخلت مباركة السجن خمسة عشر يوما بتهمة الدعارة السرية مع ذكرها في السجل...أنت تعلم أن الدعارة مقننة بصرامة. لا يمكن لهذه المرأة أن تخرج من السجن إلا للدخول مباشرة إلى بيت الدعارة..."**[4] **وتقول في موضع آخر"...نحو مسجد سيدي سالم، تسكن بعض المومسات السوفيات، اللاتي يتعاطين الدعارة السرية، أشباح غامصة دون إقامة قارة ترتاد الخمارات اليهودية عند المساء..."**[5] نلاحظ مما سبق أن الاستعمار يساهم بشكل كبير وبطريقة مباشرة في تفشي هذه الظاهرة، خاصة عندما وضع شرط خروج مباركة من السجن، هو دخولها بيت دعارة مقننة. وهنا يتجلى مدى خبث السياسة الاستعمارية التي تهدف لضرب المجتمع وخاصة المرأة. في

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص186.

[2] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص70.

[3] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص153.

[4] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص78.

[5] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص89.

المقابل نجد جزءا من مجتمع سوف يرفض هذه الظاهرة ومن يمارسها،"...**خرجت مع القناصة والصبايحية وتناولت الخمر معهم، لذلك لا أحد قبل الزواج بها...**"[1]

2- تعاطي السحر: "...**فجأة، أبصرنا شبحا أسود ينزل نحو المقبرة، كانت إمرأة ...جريدتان نديتان تنتصبان...تدلان على قبر جديد،...نزعت الجريدتين...أخذت تحفر الرمل...، كانت تمسك بإحدى يدي الميت، مقطوعة من المعصم،...أخذ السباييس بندقيته...في وضعية الرمي...يصيح مرعوبا أتركني أقتل عدوة الله وعدوة مخلوقاته،...إنها ساحرة ملعونة، بيد الميت سوف تعجن خبزا،... ومن أكل من خبز معجون بيد ميت في ليلة الجمعة عند اكتمال القمر جف قلبه ومات موتا بطيئا، أنه يصبح لا يبالي بشئ، ...ويموت، نطلب من الله أن يحمينا من هذه الأذية.**"[2] ومن هنا نستنتج أن السحر كان متداولا في مجتمع سوف، فهل هو منتشر بشكل كبير أو يقتصر على بعض الحالات؟ لا نستطيع الجزم في هذه المسألة، وإنما المؤكد أن هذه الظاهرة مرفوضة، إن لم تكن من الكل فمن البعض كما فعل السباييس.

3- انتشار الخرافة: تنتشر في سوف بعض الخرافات منها، الاعتقاد بكرامة الأولياء "...**ذلك مشعل الأولياء...أحيانا في الليل ينزل صوب الذين سيموتون**"[3] وتنتشر أيضا خرافة التضرع إلى الأولياء، "...**فترى السوافة يرقصون ويتضرعون لأولياء الإسلام حتى ينعم الله عليهم بالمطر دون جدوى**"[4] تحدثت إيزابيل عن عادة أخرى غريبة في سوف وهي إنارة القبور وخاصة ليلة الجمعة، ولم أجد تفسيرا لهذه العادة، لكن أُرَجح أن يكون ذلك ربما لإيمان الأحياء بأن الأموات يخافون ظلمة القبر، فأرادوا أُنس وحشتهم بوضح هذه المصابيح، "...**كانت المصابيح تشتعل في الجبانة فوق القبور الرمادية الصغيرة، شعلات نحيفة باهتة...**"[5] وتأكد على ذلك

[1] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص71.

[2] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص135.

[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص42.

[4] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص90.

[5] إيزابيل إبرهاردت: مصدر سابق، ص34.

في موضع آخر،"...**تجلس فوق الكثيب...عند الغروب و لترى المصابيح التي يوقدها السوافة على قبور موتاهم، هذه القناديل الباهتة، تخالها الفتاة أرواحا يقظة أو مخلوقات حية تراقبها، وفجأة عندما يحل الليل، تتذكر الصبية أن القبور يسكنها الجن فتهرب مسرعة**" [1]

ومن العبارة الأخيرة خرافة أخرى منتشرة في المنطقة، وهي الاعتقاد في الأشياء وبعودة الميت لزيارة الأحياء. و تقصد بالمصابيح تلك القناديل التقليدية أو الفوانيس "... **الضوء المتدلي من علاقة حديد على الحائط مجمرة صغيرة مربعة الشكل بها زيت وما يشبه الفتيلة...**"[2]

إضافة إلى ما سبق، تنتشر خرافات أخرى بالمجتمع السوفي: كالاعتقاد في عالم الأشباح و الشياطين مثل الغولي، النيد، المصورة، الرواحين، و الاعتقاد في الحسد والضعوذة، مراجعة الطالب أو العزام وممارسة الكهانة- التنبؤ بالمستقبل-.[3] في إحدى صفحات يومياتها تذكر إيزابيل، أن"...**المجتمع العربي مختل النظام، شوهه الاحتكاك بالأجنبي. لا وجود له هنا مثلما هو في المدن الكبيرة...**" وتقصد بالمجتمع العربي مجتمع وادي سوف، الذي ضرب الاستعمار قيمه وحضارته بسبب السياسة الاستعمارية المسلطة ضده.

سادسا: السياسة الاستعمارية ضد الأهالي

وقد وصفت إيزابيل هذه السياسة البشعة و طالما بشرت بفشل المشروع الاستعماري بالجزائر في كتاباتها، وتعتبر من الأجانب الأوائل الذين كتبوا مدافعين عن الجزائريين في صحيفة "**الأخبار**" هاته الأخيرة كانت تخصص عمودا لـ إيزابيل فيها، فتروي تلك المعاملة الدونية التي يلقاها الأهالي من طرف الإدارة الاستعمارية، والتي لم ترق لإيزابيل فعبرت عنها بما يلي: "...**الملازم de lavoux...لم يخطر على باله منذ استلم مهامه هنا، أن يبحث عن شيء من الإنسانية في هؤلاء العامة الذين يحكمهم والعصا في يده، كان يحتقر كل العرب يحتقر كل من يلبس البرنس...أما العرب المثقفون مثل الطالب- الإمام- أو مقدم الطريقة**

[1] إيزابيل إبرهاردت: مصدر سابق، ص146.

[2] إيزابيل إبرهاردت: مصدر سابق، ص71.

[3] علي غنابزية: المرجع السابق:ص،ص365،366.

فهؤلاء المغضوب عليهم، الذين يتدخلون فيما لا يعنيهم في حين أن من واجبهم الخضوع فقط..."[1] و قد بلغ الأمر بهذا الملازم أن طلب من الطبيب الفرنسي الذي كانت له علاقات طيبة مع الأهالي، طلب منه أن يلتزم بعدم التقرب منهم، وتركهم في مكانتهم الحقيقية، و أن لا يحيد عن مبدأ القسوة والصرامة، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لترويضهم، – بحسب الملازم– وكلما احتج عن فعل غير لائق من طرف الملازم يجيبه هذا الأخير،[2] "**...من الواضح أنك لا تعرف العرب أبناء الماعز..."**[3]

علاوة على الضرائب التي كان الاستعمار يفرضها على الأهالي، فإنهم أطلقوا العنان لنفوسهم السيئة لابتزاز الناس ومعاقبتهم على جرائم لم يرتكبوها، مثلما فعل الجندي الذي لم يعثر على دليل أن أحد الغلمان سرق الخضر من بيرو عرب، ولفق التهمة له ليتمكن من نزع قطعة دورو من الأب في حسرة شديدة، تحت التهديد بقتل ابنه.[4]

عندما تقرأ وصف إيزابيل للمروحة التي كانت تتأرجح فوق رأس رئيس الملحقة، تذهب الذباب و تحرك الهواء البارد، موصولة بخيط آت من ثقب بجدار الملحقة، تقف هنا ظنا أن – عجلة الحضارة التي أتت بها فرنسا مُدعيةً – مرت بسرعة ليكون في ثقب الجدار قابسا من كهرباء، لكن سرعان ما تدرك أن مُحرك الخيط رجل من الأهالي يجلس في هيئة حيوان خائف هو أحد المساجين، معاقب بالأشغال الشاقة، هكذا دون محاكمة، جراء غلطة بسيطة تطبيقا لقانون الأندجينا لسنة1881م. كلما أرخى الرجل الحبل ليمسح عرق جبينه بسبب صيف الصحراء الذي ألهب البلاط الواقف فوقه دون نعل، وجه له شرطي الملحقة ركلة واصفا إياه بالكلب. [5] ولم تسلم النساء في سوف من بطش الاستعمار، فكُن يُجبَرن على تحية القادة والضباط الفرنسيين مثلهم مثل الرجال، وإلا كانت العقوبة الضرب المبرح أو السجن. ومن كن

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص150.

[2] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص64.

[3] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص154.

[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص152.

[5] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص151.

جميلات فهن محل طمع من طرف الفرنسيين يساومنهن في أعراضهن قصد ابتزازهن و الرضوخ لرغباتهم الجنسية، فإن رفضن زُج بهن في السجن.[1] وكرد فعل على هذا الممارسة من طرف الملازم، أن أحد الرجال أرداه برصاصة انتقاما منه على اغتصابه امرأة كان يحبها.[2]

أما أولائك المجندين من أبناء الأرض، وصفتهم على أنهم فاقدين للإنسانية، عيشهم مجرد من الحياة، ليس لهم سوى خبل الكحول والمتعة الآنية العابرة في بيوت الدعارة، هؤلاء هم من باعوا حريتهم من أجل المرقد و المأكل، وحين تنتهي مدة خدمتهم يتطوعون مرة أخرى، يضعون رقابهم المطيعة تحت النير.[3]

نستنتج مما سبق أن الحياة الاجتماعية بسوف اتسمت بالبساطة، في الممارسة اليومية والمأكل والملبس، ولم يعرف المجتمع تطورا على مستوى الخدمات والمرافق العمومية بدليل تواجد قلة منها فقط، وما زاد في بدائية هذا المجتمع تلك السياسة الاستعمارية المسلطة ضده.

[1] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص،ص152-153.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص155.

[3] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص66.

الفصل الثالث

الأوضاع الاقتصادية والثقافية في سوف من خلال كتابات إيزابيل إبرهاردت

الأوضاع الاقتصادية

التجارة – الزراعة– التربية الحيوانية

الأوضاع الثقافية

العمارة في سوف

العمار المدنية– العمارة الدينية– العمارة العسكرية

المظاهر الدينية والتعليم

جوانب من الطقوس الاجتماعية

أولا: الأوضاع الاقتصادية

المعيشة اليومية في سوف بسيطة، هذا ما ستبينه إيزابيل في مواقع متفرقة من كتاباتها و يبدوا أن الكاتبة كانت معجبة بطريقة التعامل التجاري لأهل المنطقة، ألهمها ذلك مرات عدة في أن تدير هي وسليمان مشاريع تجارية، بعد أن تقبض نصيبها من ميراث "**الفيلا نوف**" بسويسرا. و عبرت عن هذا الإعجاب في رسالة لأخيها "**أوغستين**" **تقول فيها** "**...التجار السوافة الذين عرفوا كيف يتصرفون أصبحوا يملكون الملايين وقد بدئوا في بيع الفول السوداني...**"[1] ويستوردون المنتجات الغير موجودة في الوادي من بسكرة وتتمثل هذه المنتجات العجائن، الشعير، الجبن، المرق الإنجليزي، زيت الزيتون، السمن المعلب، سمك المورة.[2] من الناحية الزراعية أرض سوف خصبة جدا وتقدم بطاطس رائعة وخضر كثيرة، يباع الكيلوغرام الواحد من البطاطاس بـ25 إلى30سم، وبـ 300 أو500فرنك، يمكن شراء حديقة جيدة صالحة للزراعة ، كما يمكن كراء منزل متكون من أربع غرف بـ 10فرنكات للشهر، أما عن مبلغ شراء هذا المنزل فهو يتراوح من 1000 إلى1200فرنك، وتبلغ أجرة الخادم 10فرنكات في الشهر.[3] ويبلغ ثمن اكتراء مقهى عربي بـ 10فرنكات للشهر، تباع القهوة بـ10سم، غليون من الحشيش بـ10سم، بيضة بـ5سم.[4]

بقي حلم إيزابيل في تأسيس مشروع الزراعة والتجارة دفين رمال سوف، لأنه لم يصلها أي مبلغ من أخيها أوغستين، الذي طالما ألحت في الطلب منه أن يسوي وضعية الميراث تلك، أو أن يرسل لها مبلغا من ممتلكاته، لكن هذا لم يحدث أبدا، ولم ترى أحلامها النور.[5]

أما جستون كوفي فيفصل في الوضع الاقتصادي كالآتي:

---

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص100.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص96.

[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص94.

[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص88.

[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص119.

1-التجارة: والتي تقتصر على ثلاثة عناصر: التمر، التبغ، و أقمشة الصوف، فالصناعة العائلية في سوف تنتج كميات كبيرة من قماش الصوف الأبيض، وتلقى هذه الصناعة رواجا كبيرا في التل، يباع البرنس من30إلى80فرنك و الحائك من50إلى180فرنك، كما تصنع الزرابي في قمار من طرف الرجال، كما يشتهر أولاد سعود وفي كوينين بالذات بصناعة أخفاف الصوف أو العفان، و يصنع أهل عميش أحزمة الرجال، والطواقي الصغيرة البيضاء، ورغم توفير قطعان الضأن كل الصوف لنسيج القماش في سوف، إلا أن التجار يستوردن كميات من الصوف من الأقاليم المجاورة حين تكون الأسعار مربحة.

و تجار سوف أصبحوا يذهبون لموانئ الشمال لبيع منتوجهم من التمور بأنفسهم وتحصيل الفائدة التي عادة مايقبضها الوسطاء. تعود عليهم هذه الطريقة بمنفعة كبيرة. كما يقايض السوافة التمر بسلع أخرى كالزيت، الفخار، القطران، الخردوات...الخ وتأتي الحبوب في الصنف الأول من المواد المستوردة، كما تجلب الأقمشة والمجوهرات من تونس خاصة ، وتقام في سوف أسواق أسبوعية تكون يوم الجمعة في مدينة الوادي، والخميس في قمار.[1]

2-الزراعة: فهي زراعة كمالية، مخصصة لزيادة الرفاهية عند العائلات السوفية و توفير بعض الخضر الطازجة وليست زراعة للدخل المادي، وهي تكلف الكثير من العمل والجهد لأن على الفلاح سقيها يوميا، ومنها: الخضر، كالطماطم والفلفل وأصناف من القرع، والفواكه مثل البطيخ الاصفر و الأحمر ونادرا بعض أشجار الكرم، الخوخ، التين، الرمان، تسمى حدائق هذه المزروعات -الجنان-يحيط الفلاح جنانه بسياج من الجريد لحمايته من الرياح الحارة و الرمل المؤذي، كل هذه المزروعات لا يمكن أن تضاهي النخلة التي هي ثروة السوفي، حيث أن نخلة واحدة من دقلة نور في أوج عطائها يمكن أن توفر1200فرنك، نخلة الغرس من 700إلى800فرنك.[2]

[1] جستون كوفي: المصدر السابق، ص-ص114-118.

[2] جستون كوفي: نفس المصدر، ص134.

3-الثروة الحيوانية: عند السوافة هي تربية الجمال و الضأن و الماعز، أما الأحصنة فهي قليلة، وتجلب الحمير من بلاد التوارق للقيام بأعمال النقل الصغيرة، أما أعمال النقل ذات الحمولة الكبيرة فهي تؤول للجمل نظرا لسهولة تنقله في الأراضي الرملية. وتبلغ حمولة التجارية عن طريق الجمل والتي تبلغ200كلغ، بـ30فرنك إلى بسكرة، 15فرنك إلى وادي ريغ، 40و50فرنك إلى كل من خنشلة وتبسة. السوافى أكثر حظا لأن لديهم دائما بعض المراعي الصالحة للاستغلال، يرجع ذلك لقرب الطبقة الجوفية من المياه التي تحافظ دائما على بعض النباتات السطحية، وعادة ما ترعى القطعان في الجهة الشمالية من ملحقة الوادي. وتنقسم هذه القطعان إلى عدة سلالات وهي:

- الجمل هجين من سلالة بربرية و الجمل الذي جاء به العرب في القرن الحادي منحته تربيته في بلاد الرمل لونا فاتحا أو أبيض تماما أما الجمل الأسود نادر جدا، وتفرض ضريبة عن الجمل تقدر بـ3 فرنكات للرأس الواحد.
- الكباش في سوف من السلالة البربرية ذات الذيل الرقيق وتفرض عليه ضريبة بـ1.50فرنك للرأس الواحد في حين يربي الرعاة النمامشة والتونسيون سلالة ذات ذيل كبير قادمة من آسيا، وتفرض على .

الماعز ينتمي إلى سلالتين مختلفتين، نجد عند البدو، الماعز من السلالة العربية ذات الشعر الطويل، الأسود عموما او الأسود ببقع بضاء، وتربى لغرض الاستفادة من شعرها لنسج الخيام وصنع الحبال أكثر من الاستفادة من حليبها، وفي المجمعات السكانية أي عند الحضر تربى الماعز السودانية ذات الشعر الحليق لا تتوفر على قرون ولونها فاتح أشقر أو أبيض منقط، و هي من النوع الحلوب وتقتات على مختلف البقايا المنزلية، وتفرض على رأس الماعز بنوعيه ضريبة تقدر بـ1.50فرنك، و يربي السوافة في باحات البيوت الأرانب الصغيرة الحجم، سوداء منقطة بالأبيض، من سلالة قادمة من الجريد، و أنواعا أخرى من الحمام و الدجاج.[1]

[1] جستون كوفي: المصدر السابق، ص،ص137،138،139،140.

ثانيا: الأوضاع الثقافية

1- البناء والعمارة:

وتأتي في مقدمة المشهد الثقافي بسوف العمارة وهندستها، فلقد تعلقت إيزابيل بوادي سوف(إنسانا و مكانا) فسوف تلك المدينة الرمادية ذات الأقواس والقباب الصغيرة التي لا تُعَد.[1] فوصفت كل ركن منها بدقة ملاحظة وإعجاب كبيرين لهذا النمط المعماري الذي يميز المنطقة.

أ- **العمارة المدنية:** يأتي في مقدمة العمارة المدنية في سوف، المسكن الذي يتكون من بهو فسيح، أين يظهر الرمل الباهت للصحراء من جديد – الحوش العربي- به غرف تملأ دائرة المنزل مُجَمعَة فوق كل واحدة منها قبة من الحجارة والجبس، تكون هذه القباب صغيرة الحجم أي غير منفرجة، وللحفاظ على القبة من السقوط شيد السوافة أقواسا داعمة لتستند عليها،"... **القباب الصغيرة ذات الدعامات كأنها قلاع...**"[2] "...**البناء في سوف مشيد من الحجر الكلسي و مادة الجبس الرمادي**"[3] بيوت سوف مشيدة بطريقة بسيطة تتوفر على تلبية الحاجة اليومية"...**يحتوي المنزل على أربع غرف فسيحة في الطابق الأسفل و رواق مقبب[4] به ثلاث أقواس أين بنيت فرنا من الجبس للطبخ [5]ومستودعين للتبن والدجاج والحمام والأرانب... إلخ وغرفة مقوسة أين يبيت الحصان. وفي الطابق العلوي، غرفة تشرف على مدينة الوادي.**""[6] تجدر الإشارة أن بيوت سوف كانت ذات طابق واحد "أرضي" أما ما كانت ذات طابق ثان فهي نادرة، غرف بيوت سوف ليس لها بلاط وتكون مرملة عدا مساكن الأغنياء التي يكون بلاطها من نفس مادة الجدران والقباب أي الجبس[7] البيوت لها أبواب ونوافذ فتحات للتهوية والإنارة والممرات بين البيوت ضيقة "...**من على شرفة البيت... بين البيوت في سوف ممرات**

---

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص62.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص35.

[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص64.

[4] الأرجح تقصد به الصباط

[5] ربما تقصد الشميني

[6] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص94.

[7] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص89.

ضيقة ومتداخلة..." [1] تنتهي عند ساحة السوق " الذي يتوسط الوادي المدينة والذي يتوسطه بئر الخطارة[2] الذي تتراص دكاكينه الصغيرة تحت قباب الجبس كأنها خلايا النحل، "ينظر ملحق رقم9" أو مثل أحياء قصبة العاصمة"...**لقد بدت لي حزينة تلك القصبة الفسيحة أين يوجد المستشفى العسكري...**"[3] –تقصد حي الأعشاش والمصاعبة– مساطب السلع مصنوعة من الخشب الخام.[4] في الجهة الشمالية لمدينة الوادي يقع الحي اليهودي الذي لم تقدم لنا إيزابيل وصفا دقيقا له، وكل ما ذكرته أنه كان يحوي خمارة"حانة" لمالكها المدعو "**شلومو**"[5] أما البدو فقد كانوا يسكنون في الصحراء بعيدا عن المدينة ، ونظرا لحياة الترحال التي يحيونها، فإن مساكنهم هي الخيام المصنوعة من شعر الماعز.[6]

بالنسبة لوصف العمارة المدنية الذي قدمته إيزابيل، يطابق كثيرا ما جاء به جستون كوفي، الذي اعتبر أن العمارة في سوف لها خاصية تشد الانتباه، فالمنازل تتوفر على شكل واحد من الأسقف وهو القبة النصف كروية الصغيرة الحجم، يتشكل المنزل في سوف من باحة يتغير حجمها حسب الموارد التي تتوفر عليها الأسرة وحاجياتها للسكن تكون الجدران عالية بحيث تمنع الحيوانات التي يدخلها الناس المنزل من اجتيازها تصل الجدران إلى طول قامة الرجل حتى تكون النساء في منأى عن أنظار المتطفلين، تتشكل الغرف التي تملأ دائرة المنزل من خلايا مجمعة فوق كل واحدة منها قبة من الجبس والحجارة مشيدة بلا قالب، و لتشييد غرفة ذات قياسات مقبولة، يجب جمع عدد من القباب، ولهذا الغرض تشيد أقواس داعمة بين الخلايا المجمعة لتستند عليها القباب المجاورة، وتكون غرف المنازل في سوف مشيدة حسب الحاجة للاستعمال لكن لا يخلو بيت من غرفة للتخزين التي تحوي على خابية لتخزين تمر الغرس.

---

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص69.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص150.

[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص74.

[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص130.

[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص89.

[6] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص،ص181،126.

وأجريت تغييرات على طريقة البناء بإيعاز من النقيب –بوجات– لقد علم هذا الأخير السوافة الاستفادة القصوى من مادة الجبس وذلك بتشييد قباب مستطيلة [1]ذات العقد الكامل، ما يسمح بالحصول على غرفة ذات قياسات أكبر.[2]

وقد بدأ استعمال السوافة للأبواب في البيوت في نهاية القرن التاسع عشر، سواء للمنزل ككل أو في الغرف داخله بعد أن كانت هاته الأخير توضع على فتحات مخارج الولوج والدخول قطع من القماش، وأبواب بيت سوف مصنوعة من خشب النخيل بعد أن تُزال أوراقه و يجفف الخشب تحت أشعة الشمس ثم يصفف ويربط بأسيار جلود الإبل وتكون هذه الأبواب ضيقة عرضا وطولا لذا يجب الانحناء لولوجها. أما النوافذ فقد جعلت للتهوية، وتكون صغير للتقليل من تسرب الهواء الساخن والرمال، وتكون مرتفعة لإدخال كميات هواء كبيرة، كما توضع النوافذ في الجدران توضع في القبة أو الدمسة، وتكون مقابلة للباب لمرور تيار الهواء.[3] "ينظر ملحق رقم10"

ب– العمارة الدينية:

* **المساجد:** كانت سوف في فترة إقامة إيزابيل بها عامرة ببيوت الرحمان، المكان الذي يؤدي فيه السوافة ثاني ركن من أركان الإسلام. فتذكر أسماء و أوصاف عدة مساجد بسوف، ومنها:

– **مسجد سيدي سالم:** الواقع في قلب المدينة، و الذي يميزه صومعة مئذنته الطويلة.[4]ويبدو أنها أطول بناية في تلك المنطقة"...**أنتظر حتى يختفي لون قبة السوق الرمادية، ثم لون منارة سيدي سالم الخاطفة للبصر وحتى ينطفئ شعاع الغروب الوردي من على جانبها الغربي...**"[5]

[1] يسمى هذا الشكل في البناء بالدمسة وجمعها أدماس.

[2] جستون كوفي: المصدر السابق، ص،ص110،1001،102.

[3] محمد الصالح بن علي: **جماليات العمارة التقليدية في وادي سوف حي الأعشاش نموذجا**، ط1،ج2، مطبعة مزوار الوادي الجزائر، 2014، ص،78،82.

[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص29.

[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص65.

يقول كوفي عن هذه المئذنة:" **لا يوجد في سوف كلها سوى مئذنة مربعة واحدة مثل ما يوجد في التل التونسي وهي مئذنة الزاوية الرحمانية، سيدي سالم...**"[1] لم تعط إيزابيل وصفا للمسجد والمنارة من الداخل، واكتفت بالوصف الخارجي، وهذا ما يفند أنها أطلقت على الوادي مدينة القباب الألف من على مبنى المنارة، بل هذه التسمية أطلقتها من خلال تجوالها على كثبان سوف من على صهوة فرسها و نجدها تكرر ذلك في تحركاتها.

وعلى حسب المؤرخين للعمارة في سوف فإن هذا المسجد يقع بالتحديد في الطرف الشرقي لحي الأعشاش، بني سنة 1830م، ثم بعد سنوات شيدت المنارة، التي تميز هذا المسجد، أي سنة1896م، يبلغ ارتفاع المنارة 18.70م مقسمة إلى ثلاث أجزاء سفلي أوسط وعلوي، وتشبه في شكلها مئذنة مسجد القيروان، إضافة إلى المنارة يتميز المسجد بوجود عدة قباب و أقواس.[2]" ينظر ملحق رقم5"

– **مسجد النخلة:**"**...خلف منزلنا، في أسفل الكثيب، مسجد صغير ذو طابع إفريقي يحاذيه سياج به ثلاث نخلات، مبني الجبس الأحمر المشابه للطوب. ليس به إلا قبة بيضاوية تسند الحائط.خلفها تظهر نخلة جميلة، تبدو، من شرفة بيتنا، وكأنها تنبثق من القبة نفسها...**"[3]

– **مسجد أولاد خليفة:** من الواضح أنه في نفس الحي الذي تسكن فيه، ويوجد به مسجد سيدي سالم فلا يمكن أن ترى مسجدا في منطقة أخرى وهي تنظر له– مسجد سيدي سالم– في نفس الوقت "**...ثم لون منارة سيدي سالم الخاطف....عندها، من بعيد جدا، من جامع أولاد خليفة ثم جامع العزازلة، يبدأ لحن المؤذن...**"[4]

بالفعل يقع هذا المسجد بحي الأعشاش، أسس سنة1700م، وينسب إلى عميرة أولاد خليفة، بني بمادة الجبس و بهندسة القباب و الأقواس المعمارية.[5]

[1] جستون كوفي: المصدر السابق، ص103.
[2] محمد الصالح بن علي: المرجع السابق، ص،ص112،122.
[3] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص65.
[4] نفسه.
[5] محمد الصالح بن علي: المرجع السابق، ص105.

- **مسجد العزازلة:** أيضا يبدوا أنه في نفس الحي، تبريرا بموقع مسجد سيدي سالم و أولاد خليفة"...**عندها، من بعيد جدا، من جامع أولاد خليفة ثم جامع العزازلة، يبدأ لحن المؤذن...**"[1]

بالفعل هو كذلك، يذكر محمد الصالح بن علي أن هذا المسجد، أسس سنة1872م من طرف قبيلة العزازلة، ويؤكد ذلك اللوحة المحفورة بالمدخل الشمالي للمسجد، ويقع هذا المسجد في الطرف الجنوبي من حي الأعشاش، وفي الجهة الجنوبية الغربية من السوق، أم عن خصائصه المعمارية فهي السطح المقبب والأقواس الداعمة لها.[2]

ومن خلال ذكر هاته المساجد يتضح أن أسقفها إما كانت على شكل قبة أو منارة، لأن هاذين الشكلين الهندسيين هما الذين يساعدا على وصول صوت الآذان الذي ميزته إيزابيل من أي المساجد يصل، في فترة مازالت لم تشهد مكبرات الصوت.

و يؤكد هذا الكلام النقيب كوفي،"...**بنفس لطريقة تمكن بناؤو سوف من تشييد قباب ذات مقاييس جيدة ونصف دائرية تماما وبذلك ملئوا البلد بمساجد بسيطة الهندسة ولكنها لائقة.**"[3]

* **الزوايا:** الزوايا المتواجدة في سوف في مطلع القرن العشرين حسبما تذكره الرحالة إيزابيل إبرهاردت والتي هي فروع من الرحمانية والقادرية والتيجانية.

تشيد الزوايا بسوف بعيدا عن المساكن للتناسب وطابع التصوف وهذه الزوايا هي:

- **زاوية سيدي ليمام أو زاوية لقباب**[4] بمنطقة اعميش.[5] وهي من أتباع الطريقة القادرية. غرفها ضيقة، مرملة ومقببة.[6]

---

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص65.

[2] محمد الصالح بن علي: نفس المرجع، ص140.

[3] جستون كوفي: المصدر السابق، ص103.

[4] نظرا لوجود القبتين بالزاوية. المصدر السابق، ص30.

[5] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص24.

[6] نفسه.

- **زاوية الهاشمي الشريف:** بالرباح وهي أيضا من أتباع القادرية. يميزها غرفة الاستقبال الفسيحة والمرملة، ذات أقواس منخفضة.[1]بما أن الزاوية كانت لها أقواس ودعامات فهذا يدل على وجود القبة، لكن الكاتبة لم تذكر ذلك.

- **زاوية سيدي سالم:** بمدينة الوادي وقي من أتباع الطريقة الرحمانية. المميز في بنائها سمعة مئذنتها الطويلة البيضاء[2]

- **الزاوية التجانية** بقمار وهي من أتباع الطريقة التجانية. لم تأت إيزابيل على ذكر نمطها المعماري في مذكراتها، ولكن كوفي قام بذلك، "...**في زاوية قمار بنى سي العروسي قبة خارقة للعادة فوق الغرفة حيث يستقبل الضيوف المميزين، تأخذ هذه القبة شكل هرم مربع الزوايا،...**"[3] يسمى هذا النوع من القباب في مصطلحات الهندسة المعمارية بالقبة المخروطية.

ج- العمارة العسكرية:

تتمثل العمارة العسكرية بسوف في مقر الإدارة والجيش الفرنسي، الذي استقر بالمنطقة نهائيا سنة 1954م، وهذه المقرات عبارة عن:

***بيت القايد:** الذي كان موجودا بالساحة العمومية بحي الأعشاش.[4]كما كان هذا القايد يملك غوط كبير غرب حي الأعشاش.[5]

***الحي العسكري بالأعشاش:** يفصله فناء مستطيل الشكل عن المدينة، يتكون من المستشفى العسكري غرف للمرضى طويلة ضيقة ومقوسة، جدرانه مطلية بالأصفر وأساساتها وبلاطها بالرمادي -تقصد لون الجبس- أبوابها ثقيلة، معلق على جدار الغرفة ورقة كتب عليها" **ملحقة الوادي- المستشفى العسكري-قانون مصلحة الصحة... تنتهي بعبارة عقوبات تأديبية على المرض المدنيين ... النافذة محجوبة بغطاء جنود داكن اللون، ينير وميض فانوس الزيت**

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص33.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص127.

[3] جستون كوفي: المصدر السابق، ص103.

[4] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص13.

[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص،17.

الباهت الوردي ليالي... أما غرفة الطبيب البيضاء فقد على قدر من الرفاهية... " [1] وثكنة القناصة وثكنة المشاة وثكنة الصبايحية، [2] ، يتوسطه بهو فسيح، يحتوي على غرفة الرقيب الفرنسي وبه سجن متكون من المحلات التأديبية وزنزانة، كما يحتوي على إسطبل للأحصنة أقواسه ملونة بألوان مختلفة[3] باب به مغسل الموتى وحمام ، بابه عبارة عن قوس كبير ثم ممر ثم قوس آخر منخفض عن الأول،[4] يحرصه جندي قناص.[5] لقد وصفت إيزابيل الحي العسكري بدقة، في حين اكتفى كوفي أن المقرات العسكرية تحتوي، مكاتب الملحقة ومساكن الضباط و بها أدماس مزدوجة يفصلها فضاء، حيث يمكن للهواء أن ينساب بحرية ويحيط بالبناء رواق من الأقواس.[6]

***الأبراج:** وهي بنايات بمثابة حصون للجيش الفرنسي كما تعتبر نقاط مراقبة، شيدت في عدة أماكن من سوف، تذكر إيزابيل بعضها."ينظر ملحق رقم12"

- **برج الفرجان:** شيد على الطريق الرابط بين الوادي والطيبات.[7]

- **برج سيف المنادي:** شيد فوق سفح منخفض، شيد على الطريق الرابط بين وادي سوف ووادي ريغ[8]

- **برج الحمراية:** يقع فوق هضبة حجرية في الجهة الغربية لسوف.[9]

- **برج المقيبرة:** تشييد يعلو مرتفعا، مطنقة المقيبرة في الجنوب الشرقي من هذا البرج.[10]

---

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص72.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص،ص65،47.

[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص69.

[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص70.

[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص65.

[6] جستون كوفي: المصدر السابق، ص، 104.

[7] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص12.

[8] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص53.

[9] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص54.

[10] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص55.

من خلال ما ذكرناه سابقا عن شكل القبة الذي يميز العمارة في سوف، يبدو أن سبب تعلق السوافة بهذا النمط المعماري، راجع إلى طبيعة المنطقة التي يغلب على سطحها الكثبان الرملية و التي يبدو شكلها يشبه القبة للناظر من بعيد، وبالتالي كانت مساكنهم من وحي طبيعة المنطقة، إضافة إلى ذلك وفرة مادة الجبس وسرعة تماسكه وسهولة وبساطة استعماله في بناء القبة، كما يعتبر الشكل النصف كروي للقبة مناسب لأسقف منازل سوف التي تنتشر في طبيعة صحراوية تتميز بالحرارة صيفا والبرد الشديد شتاء والزوابع الرملية التي تسبب تراكم الرمال، فتصبح القبة المبنى الذي يوفر الحماية من كل تلك العوامل الطبيعية. كما أن شكل القبة من الداخل يبعث عن الراحة و الطمأنينة النفسية."ينظر ملحق رقم10"

أشارت إيزابيل للطبقة المثقفة في سوف **جاعلة إياها تنحصر في اثنين، إمام المسجد، ومقدم الزاوية،** "...**أما العرب المثقفون مثل الطالب(الإمام) أو مقدم الطرقة فهؤلاء هم الأعداء....**"[1] هذا الوصف الذي قدمه الملازم "**de lavoux**" الذي كان يخشى من هذه الطبقة على الوجود الفرنسي بالمنطقة، وكان دائم الحرص على جعلها خاضعة حتى لا تقوم بأي عمل ضد الإدارة الفرنسية. بالفعل تم ذلك، فلم تذكر إيزابيل خلال إقامتها بالوادي، وجود ثورة أو مقاومة شعبية في سوف، قامت بها الطبقة المثقفة أو غيرها من طبقات المجتمع الأخرى. لكن يرجع الفضل للإمام ومقدم الطريقة في الحفاظ على بقاء بعض المظاهر الدينية لدى السكان.

2- **المظاهر الدينية والتعليم:**

تتبعت إيزابيل في وصفها لسوف وتسجيل كل ما يلفت الانتباه، كان كل شيء في هذه المنطقة يحرك رغبة الكتابة لديها، وقد أُعجبت كثيرا ببعض الشعائر الدينية لدى المسلمين فكتبت تصف الآذان والصلاة في سوف.

أ- **الآذان والصلاة:** بهاذين الشعيرتين، اعتبرت إيزابيل سوف أرض إيمان، ففي كل خطوة يرتفع مسجد وقبة أو زاوية، أين لا وجود إلا لصوت آذان الإسلام يكرر في اليوم خمس مرات

[1] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص150.

أين توجد الصلاة والإيمان بهذا البلد.[1] ويحرص المسلمون في سوف على آداء الصلاة في المساجد والزوايا، " **فجأة من كل المساجد ينبعث صوت...الله أكبر الله أكبر، كم هو غريب هذا النداء الألفي للإسلام، من كل الكثبان وكل الأودية المختفية و التي كانت تبدو خالية... شعب بأكمله ينزل ملتحفا و مُقَلنَسًا بالأبيض(السوافة)، الطوال السمر، ينزلون في صمت و وقار نحو الزوايا والمساجد.**" [2] وتضيف، "**...يبدأ لحن الآذان...تفرغ ساحة السوق لتمسي خاوية صامتة**"[3] **و** مما سبق يتبين حرص مسلمي سوف على آداء الصلاة في وقتها وفي الجماعة بالمساجد والزوايا، وكلهم حرص لأن لا تفوتهم ركعة من الركن الثاني للإسلام"...**مررت عند الغروب بمسجد أعالي المدينة، أشباح بيضاء تمر في عجل تحت الإشعاع الاحتفالي الذي يغمر الأرض**" [4] "**... إنهم يسجدون جماعة، يشهدون بالوحدانية المطلقة للرب الحاج حمودة أمامهم، يقرأ بصوت مرتفع الآيات الغناءة، أنه الأكثر علما أنه الإمام.**"[5]

ب- الصيام: يؤدي المسلمون في سوف الصيام في شهر رمضان، وقد ذكرته إيزابيل في موضعين، الأول، "...**أتكئ عند غروب الشمس ...عند الساعة التي يعلن فيها المؤذن أن الشمس قد اختفت...و أن ساعة الإفطار قد حلت...**"[6]

"...**أحاسيس عند المساء في رمضان، بالوادي...ساعات الطمأنينة في شعبان ورمضان...مؤذن أولاد احمد يطيل الصوم أكثر من اللازم...**"[7] ويتضح من خلال العبارة الأخيرة، أن السوافة كانوا يحترمون شهر رمضان وحتى شعبان ، وذلك من خلال ما لقيته إيزابيل من راحة نفسيه خلالهما.

---

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق، ص143.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص129.

[3] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص68.

[4] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص19.

[5] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص131.

[6] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص62.

[7] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص،ص64،65.

ج- الذكر وقراءة القرآن: "" في بهو زاوية سيدي لقباب...أنتظر سيدي لمام...لما كان الأخوة يتلون الذكر بعد صلاة المغرب تحت الأقواس الرمادية ينيرهم ضوء الشموع الغريب"[1]"ينظر ملحق رقم13"

"**...كان سيدي لمام يكمل سبحته بعد صلاة المساء،...سمعت الطلاب في المسجد يتلون القرآن في إيقاع بطيء...إنهم يكررون...ذكر الجيلاني...**"[2]

بالفعل قد رعت الزوايا والمساجد التعليم القرآني بسوف، عن طريق مدارسها القرآنية، كما كانت بعض العائلات في سوف تشيد مدارس قرآنية مثل مدرسة القروي بالجهة الشمالية لحي الأعشاش، التي أسست سنة1890م، أم التعليم الفرنسي فقد جاء لاستعاب أكبر عدد من أبناء المنطقة، قصد اعدادهم لوظائف يترفع عنها المعمر أكثر منها عملا تثقيفيا للأهالي، وتعد المدرسة الأهلية "الكوليج" التي افتتحت سنة 1886م نموذجا من هذا التعليم الفرنسي، كما كانت هناك مكتبات داعمة تدعم النمط الأول والثاني من التعليم، وهي: مكتبات الزوايا والمساجد التي تحوي المصاحف القرآنية و كتب مخطوطة في الفقه إضافة إلى المكتبات الأهلية الخاصة، أما المكتبات الفرنسية فكانت لملحقة الوادي مكتبة تضم تاريخ الجزائر الثقافي والاجتماعي والسياسي، تاريخ الجزائر وثوراتها الشعبية وكتاب العدواني بشكله المخطوط، كما كان لضباط الحامية العسكرية بالوادي مكتبة خاصة بهم تضم كتب الحروب والمعارك التاريخية، كتب في التنظيم العسكري، وكتب الملاحم والسير.[3]

3-جوانب من الطقوس الاجتماعية:

أ - **لفنتازيا:** هذا الاحتفال هو كنوع من الطقوس بسوف، تُؤدى خلال عودة مقدم الطريقة القادرية. وقد وصفته إيزابيل بشكل مطول وبدقة منقطعة النظير، لذا سأختصرها باقتباس أجزاء من هذا الوصف، "**...منذ عدة أيام وكل المنطقة في عرس: الشيخ الصالح سيدي محمد الهاشمي عائد إلى الوطن، إنها فرصة ثمينة لارتداء البدل البراقة والركض على الخيول**

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص80.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص43.

[3] موسى بن موسى: المرجع السابق،ص،ص98،99،104.

الجموحة وخاصة، هي فرصة ليتكلم البارود بقوة...بعد ليلية قضيناها، نستمع للكلام الملتهب والأسلوب المزاجي القوي للشيخ الصالح...تنتظر الخيول يهيجها الضجيج اللامألوف،...الحشد المتزايد من البشر والذي تضخمه شيئا فشيئا الأعداد الهائلة للوافدين الجدد...في وسط الضوضاء، صراخ الخدم وصهيل الخيل، ركبنا بسرعة على ظهور الجياد،...فاندفعنا إلى الخارج، أمامنا يسير أربعة موسيقيين...يرتفع صوت عال كأنه صوت ملاح، السلام عليك يا حفيد رسول الله في جنون، يردد الجميع هذا النداء. ثم إن البنادير ترتفع فوق الرؤوس لتدق إيقاعا جنونيا أيضا، تتراجع الخيول مشبوبة غاضبة قبل أن تنطلق...و بسرعة تتكون من حلقة كبيرة أمامنا، ينطلق صوت نشيد متقطع وغريب، نشيد حرب قديم يؤديه اثنا عشر شابا يرتدون حرير تونس بألوانه الزاهية وهم يدخلون الحلبة مسلحين ببنادق طويلة مرصعة وطنبجات، إنهم يتصنعون هجوما وهميا. يتجهون نحونا ويصرخون وحين يصلون قرب أحصنتنا يطلقون النار ببنادقهم في آن واحد على الرمل المدخن، عندها تنتفض الخيول مشبوبة تومئ بأرجلها الأمامية فوق الحشود...وهكذا كلما وصلنا إلى مساحة مستوية قليلا وفسيحة نفس المشهد البطولي يتكرر، وكأننا في العصور البعيدة لما كانت الحرب تلهب الأرواح وتسيطر عليها" [1]

ب–الغناء والموسيقى: تؤدى الموسيقى في سوف بآليتين هما: الناي المصنوع من القصب الخفيف، والدف(البندير)، يؤدي النسوة والرجال الغناء في سوف ويتميز اللون الغنائي بالمنطقة بطابع الموال، ويغلب على لحن الناي الموسيقى الحزينة، "**...بعيدا جدا. ناي صغير من القصب يبكي حزنا مجهولا، أنينه الجذاب المسترسل يكسب عذوبة الكآبة الهائلة...**"[2]

"**...بصوته الرنان والمتحمس، يرافق علي، وكأنه في المنام، ذلك الموال الحزين، وأنا كنت أسمع.**"[3] **وأحيانا ترافق النساء غنائهن بالتصفيق فيسمع صوت أساورهن"...ثم سمع امرأة**

[1] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص-ص124،125،126.

[2] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص128.

[3] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص50.

تغني على إيقاع تصاحبه طقطات أساور...إنها تغني بصوت خافت...يبدو ذلك كأنه رقية لما في إيقاعه من حزن غريب..."[1] ويرافق الرجل في سوف الغناء والموسيقى وهو يقوم برفع الرملة، "...**في الصيف، عند الليل، يصل أذن المسافر صوت عال، حزين، لطيف، يصعد من الاقماع..."**[2]

يذكر كوفي خلال إقامته بسوف بعض ألوان الغناء والموسيقى التي لم تذكرها إيزابيل، فقد كانت هناك فرق موسيقية زنجية تأتي من الجريد يسمون (علي دانقو) يرتدون تنورات بيضاء يديرونها حول أجسامهم مثلما يفعل دراويش المشرق، يجنون من خلالها المال الذي يدفعه المتفرجين، بالإضافة إلى رقصة القرقابو التي تأدى على وقع القرقاب، كما يعطي السوافة اهتماما كبير لرقصة النخ، التي يؤدي الشبان بعدها أغاني الحب على وقع الطبول بألحان شاكية، هذه الرقصة تؤديها النساء على مرأى الرجال، يتوسط الجمع موقد النار، تتقدم الراقصات عاريات الشعر تغطين وجوههن، ثم يأرجحن رؤوسهن يمينا وشمالا، للإشارة هذه الرقصة تكون في احتفالات الزواج عند السوافة .[3]

ويضيف جستون كوفي أحد الطقوس الأخرى التي تنتشر عند السوافة والتي لم تأت إيزابيل على ذكرها، وهي الألعاب التي يؤديها الصغار و الكبار، كلعبة كرة الصوف والتي شبهها بالغولف، لعبة الأرجوحة، لعبة الكعاب، لعبة الخربقة،"**ينظر ملحق رقم14ص69**" لعبة السيق كما أدخل الفرنسيون لعبة طيارة الورق ولعبة المشايات.[4]

ج- الطقوس الجنائزية: يُواري السوافة جثامين موتاهم تحت التراب كما يفعل كل المسلمين، وقد وصفت إيزابيل مقابر سوف بالشاعرية،[5] فهي قبور مبثوثة في الرمال دون ترتيب ودون حائط واق،[6] وتُبنى أحيانا على شكل أجراس حادة، وتُقَبب القبور في سوف بدعامات صغيرة،[1]

[1] إيزابيل إبرهاردت: تاعليث، المصدر السابق،ص70.

[2] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص142.

[3] جستون كوفي:المصدر السابق، ص،ص152،153.

[4] نفس المرجع،ص148.

[5] إيزابيل إبرهاردت: عودة العاشق المنفي، المصدر السابق،ص100.

[6] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر،ص146.

ويُحمل الميت إلى هذه القبور على نقالة(نعش) يسير خلف الميت جمع من الناس(الموكب الجنائزي) وفي حلقة نصف دائرية، يصلى عليه من غير سجود وهو في على سطح الأرض، ثم يُنزل داخل حفرة عميقة(القبر) ويوضع الجريد فوقه.[2] "واحدة من الأمور التي شدت انتباهي عند الوصول إلى سوف هو غياب المقابر ظاهريا على الأقل،...الفضاءات الفارغة والعارية حيث نرى من حين لآخر قطعة خشب أو عظم جمل وفي وسطها تنتصب قبة صغيرة جدا أحيانا، هذه الفضاءات مخصصة للموتى."[3] من خلال مقولة كوفي يتضح فعلا أن المقابر في سوف ليس لها سور و أن القباب التي توضع على المقابر تكون لأجل إبرازها وحتى لا تغط الرمال تلك المقابر، كما أشار على الجريد الذي يغرس فوقها، لكن لم يتحدث عن الفوانيس التي كان يضعها السوافة على قبور موتاهم والتي ذكرتها إيزابيل في أكثر من مرة في كتابتها.

يتضح مما سبق أن زراعة النخيل بسوف مثلت موردا اقتصاديا هاما، ثم تأتي تجارة الصوف و الوبر ، وهذا بدوره خلق حرفة النسيج التي كان لها دور في دفع التنمية بالمنطقة وخلق حركة تجارية داخلية وخارجية.

أما الوضع الثقافي، نجد أن المنطقة انفردت بنمط هندسة معمارية في بنائها، جعلها تختص به دون غيرها من المناطق، فهندسة القباب و الأقواس شملت كل المباني سواء المدنية أو العسكرية أو الدينية، هاته الأخيرة التي تمثلت في المسجد و الزاوية، وكان لهاتين المؤسستين دورا مهما في الحياة الدينية بالمنطقة، حيث حفظتا للسكان شعائر دينهم من صلاة وذكر وحفظ لكتاب الله، دون أن ننسى الدور الذي لعبته المدرسة الأهلية الفرنسية في خلق نخبة مؤهلة في بعض الحرف خاصة نسيج الزرابي. وقد مارس السوافة طقوسا اجتماعية مثل الفنتازيا، و بعض الألعاب كلعبة كرة الصوف الأرجوحة، الخربقة، السيق. أما طقوس الموت أو الطقوس الجنائزية نجد طريقة الدفن التي توافق طريقة الجنائز الاسلامية.

---

[1] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص35.

[2] إيزابيل إبرهاردت: نفس المصدر، ص180.

[3] جستون كوفي: المصدر السابق،ص146.

خاتمة

خاتمة

قدمت كتابات إيزابيل إبرهاردت صورة عن وادي سوف خلال الفترة من 1900-1901م كشفت من خلالها عن جوانب مهمة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بعد بحثنا توصلنا لما يلي:

من الناحية الاجتماعية اتسمت التركيبة السكانية في سوف بالتفرع إلى قبائل منقسمة بين بدو وحضر، تميزت حياة هاتين الفئتين بالبساطة في مستوى المعيشة، بالاعتماد على ما توفره طبيعة المنطقة من مأكل وملبس، فنجد سكان سوف قد ارتبط غذائهم بشكل كبير على تمور نخيلهم و ألبان قطعانهم من الإبل و الماعز مع اللجوء إلى مصادر غذائية أخرى كالقمح والشعير و بعض أنواع الخضر المحدودة التي تنمو في المنطقة كالقرع والجزر والفلفل، لذا تميزت الوجبات الثلاث اليومية لأهل سوف بوجود نوع أو نوعين من مصادر الغذاء مما ذكرنا سابقا.

أما اللباس فقد كان أيضا بسيطا غير متكلف يتماشى وطبيعة المنطقة الصحراوية لوادي سوف التي توفر كميات كبيرة من مادة الصوف والتي يعتمد عليها صنع ملابس أهل المنطقة بشكل شبه كلي، و تعد القندورة و البرنس القطعتين الأساسيتين في اللباس في الحياة اليومية العادية أو المناسبات الاجتماعية، كالزواج الذي يغلب عليه البساطة سواء في مقدار المهر أو تكاليف الاحتفال به، ونظرا للدور الذي يؤديه الزواج داخل المجتمع في بناء أسرة جديدة و الحفاظ على النسل و العرض، نجد العائلات في سوف تزوج أبنائها وخاصة بناتها في سن مبكر، دون مراعاة لفوارق السن بين الزوجين أو الشروط المطلوبة في أحد الطرفين أو كلاهما، لذا نجد ظاهرة الزواج عن طريق خطف الشباب للفتاة، مما يجبر العائلات القبول بهذا الزواج المفروض، وهذا لا ينفي وجود زيجات تمت عن طريق المشاورة بين الأهل و العروسين.

البساطة في حياة أهل سوف شملت حتى المرافق العمومية المتواجد بعض منها في المنطقة كمركز البريد والمستشفى العسكري و المدرسة الأهلية الفرنسية – الكوليج– و المقهى الذي مثل مكانا للراحة و التلاقي بين أهل المنطقة للتسامر و كسر روتين مشقة الحياة الصحراوية التي بقي السوافة في تحد معها عن طريق التعاون والتكافل الاجتماعي خاصة بأعمال التويزة في الغوط أو أعمال النسيج أو المناسبات الاجتماعية كالزواج وبالتمسك بتعاليم الدين كالايمان بالقضاء والقدر ونبذ الحرام .

وقد بلغت بساطة أهل المنطقة حد تفشي بعض الظواهر السلبية في المجتمع كانتشار الخرافة و تعاطي السحر و الحشيش و الدعارة، و قد ساهم الاستعمار الفرنسي في استفحال هذه السلبيات بشكل مباشر و غير مباشر و ذلك عن طريق سياسته الاستعمارية التعسفية المسلطة ضد الأهالي، كفرض الضرائب القاسية وإجبار السكان على أعمال السخرة، و رمي البعض الآخر في السجون و هتك أعراضهم...الخ

ومن الناحية الاقتصادية، فقد مثلت زراعة النخيل موردا اقتصاديا هاما، و قد كانت تجارة التمور بسوف مطلع القرن العشرين عمود وشريان الاقتصاد بالمنطقة، ثم تأتي تجارة الصوف و الوبر ومنسوجاتهما من ألبسة و أفرشة بفضل الثروة الحيوانية الكبيرة بالمنطقة، وهذا بدوره خلق حرفة النسيج التي كان لها دور في دفع التنمية بالمنطقة وخلق حركة تجارية داخلية وخارجية، دون أن ننسى بعض الزراعات المعاشية و التي جنبت العائلات اللجوء إلى السلع المستوردة هذه الأخيرة التي جلبها التجار لتغطية انعدام أو نقصها بالسوق المحلية.

وبالنسبة للوضع الثقافي، نجد أن المنطقة انفردت بنمط هندسة معمارية في بنائها، جعلها تختص به دون غيرها من المناطق، فهندسة القباب و الأقواس شملت كل المباني سواء المدنية أو العسكرية أو الدينية، هاته الأخيرة التي تمثلت في المسجد و الزاوية.

وكان لهاتين المؤسستين دورا مهما في الحياة الدينية بالمنطقة،حيث حفظتا للسكان شعائر دينهم من صلاة وذكر وحفظ لكتاب الله، دون أن ننسى الدور الذي لعبته المدرسة الأهلية الفرنسية، و إن كان منهاجها التعليمي ذا نمط غربي إلا أنه ساهم في خلق نخبة مؤهلة في بعض الحرف خاصة نسيج الزرابي. وكأي المجتمعات مارس السوافة طقوسا اجتماعية مثل الفنتازيا، وهي طقس يؤدى جماعيا تمتزج فيه الحركات البدنية والغناء وعزف الآلات الموسيقية والتي اعتمد السوافة على اثنين منها، الناي و الدف للتعبير عن الفرح، إضافة إلى ممارسة بعض الألعاب التي كانت متنفسا للصغار و الكبار منها: لعبة كرة الصوف الأرجوحة، الخربقة، السيق. أما طقوس الموت أو الطقوس الجنائزية نجد طريقة الدفن التي توافق طريقة الجنائز الاسلامية.

وتجدر الإشارة أن إيزابيل أغفلت ذكر تفاصيل عديدة بالمنطقة، خاصة في الجانب الاجتماعي كالبنية داخل الأسرة و دور المرأة داخلها و في المجتمع، إضافة لإغفالها أمور أخرى خاصة في السياسة الاستعمارية.

و لم يخلو الوضعين الاقتصادي و الثقافي من غياب بعض المعلومات التي حاولت استنباطها من مراجع أخرى، كما هو مذكور في متن هذا البحث، و ربما مبرر هذا النقص هو أن إيزابيل كانت تدون بعفوية مذكراتها التي تميزت بالوصف والسرد الأدبي أكثر من التحليل، عكس مانجده في كتابات الضباط المستكشفين، الذين تتميز كتاباتهم بالدقة خاصة في الأرقام والإحصاءات، وذلك راجع للمهمة الرسمية المكلفين بها لإتمام مشروع الاحتلال و إحكام السيطرة على المنطقة.

وفي الختام يمكن القول، أن إيزابيل إبرهاردت و من خلال كتاباتها قدمت معلومات حول وادي سوف في الفترة من 1900-1901م، شملت هذه المعلومات وصف الطبيعة و الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بالمنطقة، فقد كانت مدونات إيزابيل دقيقة في مواضع وسطحية في أخرى، لكن بالتحليل و العودة إلى مراجع كتبت عن المنطقة

يمكن إكمال صورة وادي سوف خلال فترة وجود الكاتبة إبرهاردت بها، وبذلك نقدم كتابة تاريخية من خلال نصوص أدبية.

الملاحق

ملحق رقم1

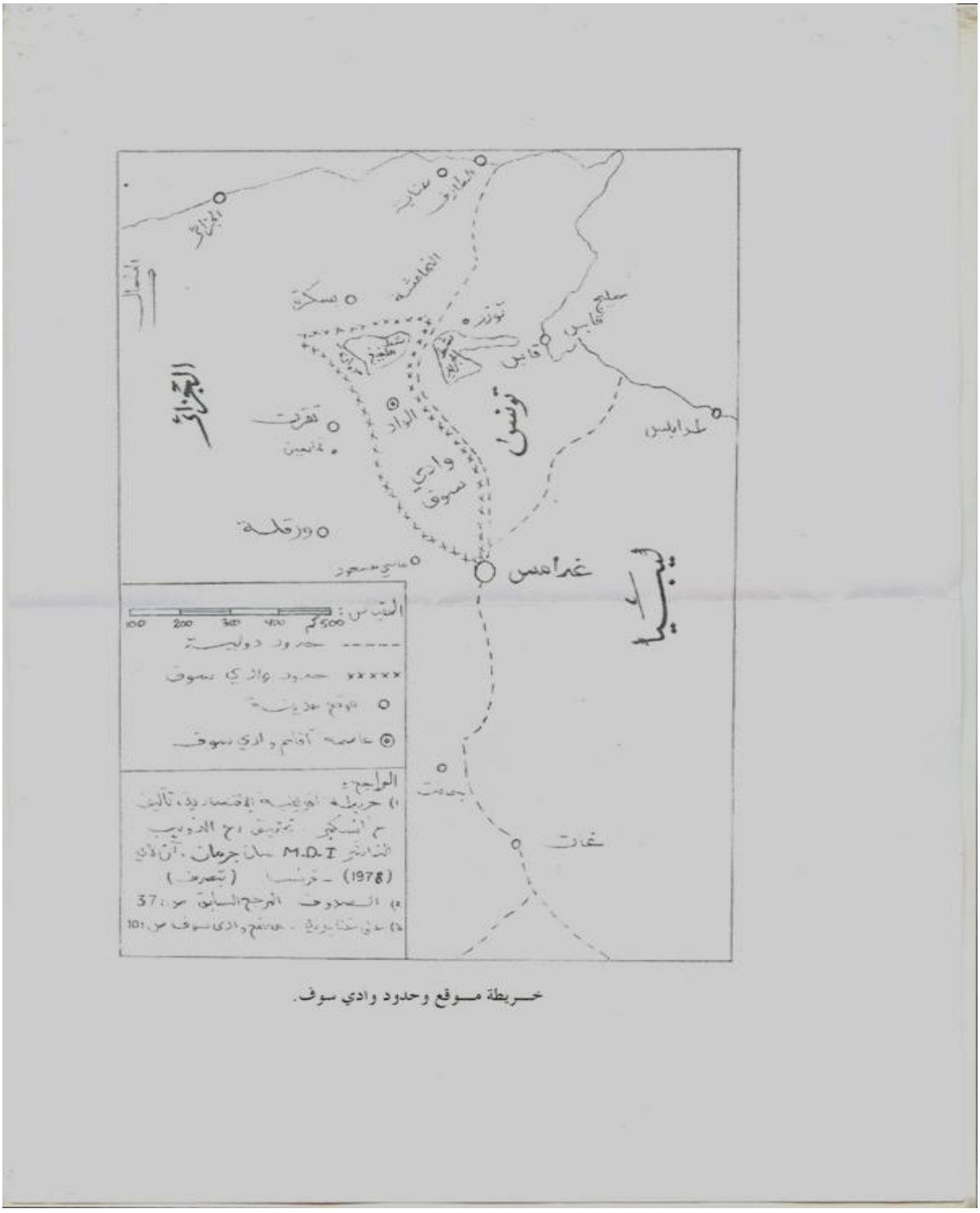

خـــريطة مـــوقع وحدود وادي سوف.

1

[1] موسى بن موسى،: المرجع السابق،ص20.

ملحق رقم2

صورة إيزابيل إبرهاردت في سن الطفولة بزي أوروبي[1]

ملحق رقم3

صورة أخرى لإزابيل إبرهاردت بالزي العربي الأرجح أنه الحولي التونسي[2]

[1] http://ainsafra.blogspot.com -12-03-2018

[2] op-cit

ملحق رقم4

قبر إيزابيل إبرهاردت بمقبرة سيدي بوجمعة عين الصفرا[1]

[1] http://ainsafra.blogspot.com -12-03-2018

ملحق رقم 5

صور لمناظر طبيعية من وادي سوف[1]

ملحق رقم 6

[1] Ouadisoufnew.bloogspot.c

منارة زاوية سيدي سالم[1]

ملحق رقم7

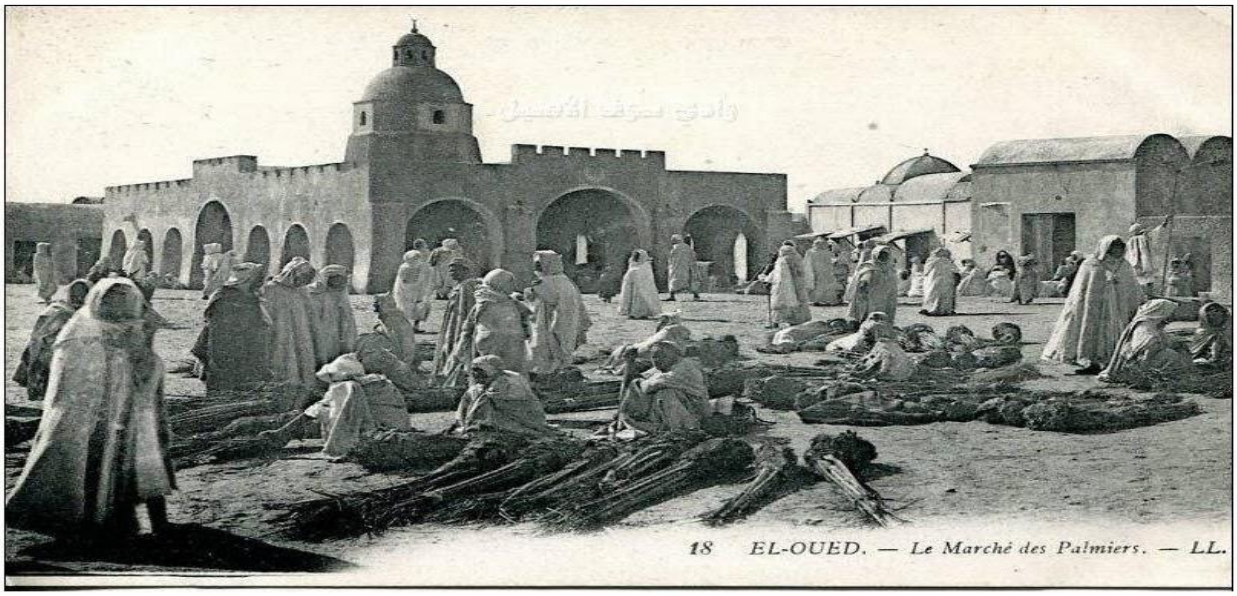

ساحة سوق مدينة الوادي قديما[2]

ملحق رقم8

[1] Ouadisoufnew.bloogspot.com
[2] Op-cit

صورة تظهر فيها غيطان سوف ولباس الرجل بالمنطقة[1]

ملحق رقم9

صورة تبين شكل أزقة مدينة الوادي[2]

ملحق رقم10

[1] Ouadisoufnew.bloogspot.com
[2] op-cit

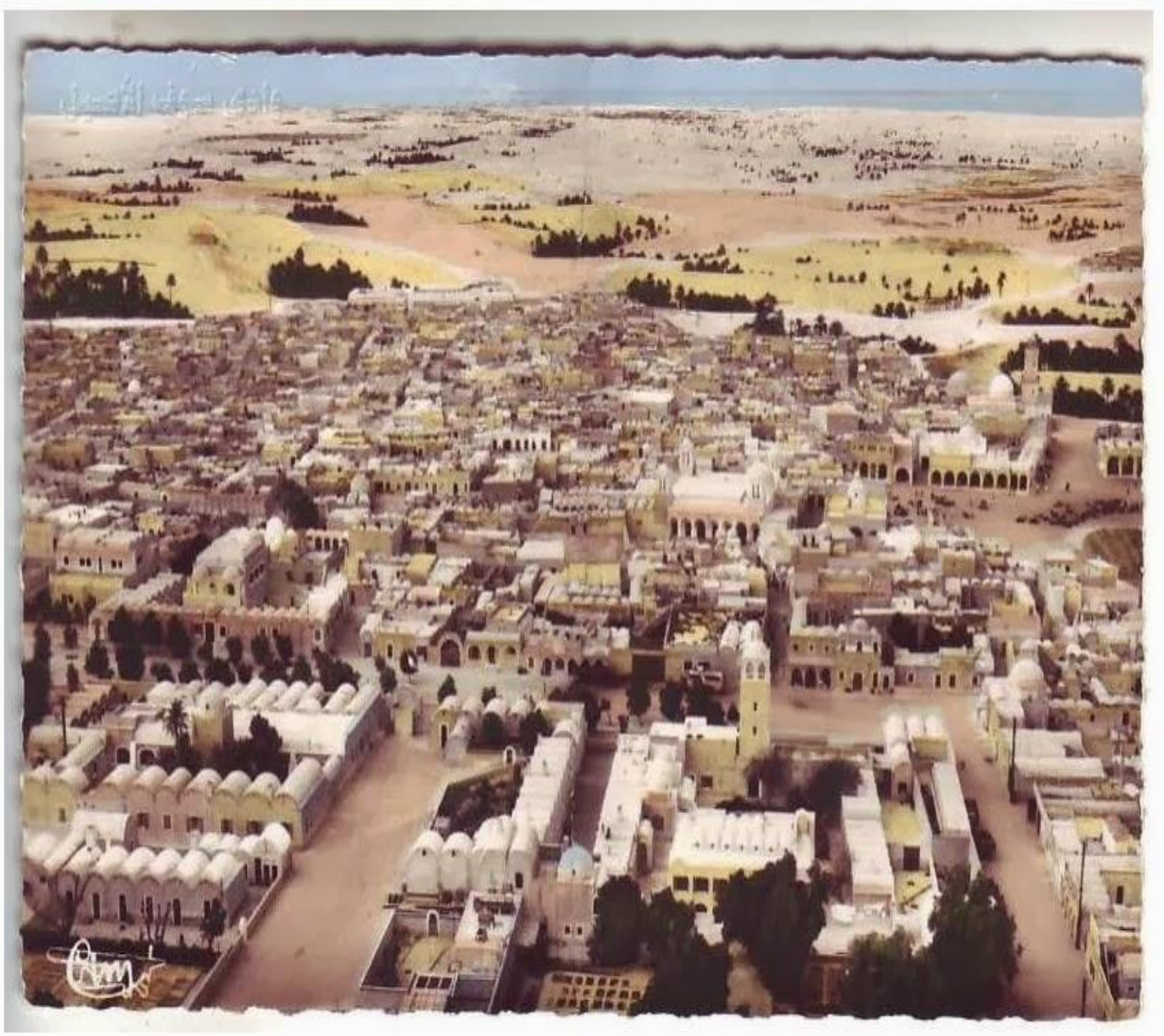

صورة لمدينة الوادي تظهر فيها هندسة القباب و الأدماس و الأقواس[1]

ملحق رقم 11

[1] Ouadisoufnew.bloogspot.com

صورة أحد المقاهي القديمة بالمنطقة[1]

ملحق رقم12

صورة أحد الأبراج العسكرية بالمنطقة[2]

ملحق رقم13

[1] Ouadisoufnew.bloogspot.com
[2] op-cit

صورة تبين حلقة لحفظ القرآن الكريم بالمنطقة[1]

ملحق رقم14

صورة تبين ممارسة لعبة الخربقة[2]

[1] Ouadisoufnew.bloogspot.com
[2] op-cit

بيبليوغرافيا

البحث

ببليوغرافيا

أولا المصادر

القرآن الكريم

- إبرهاردت إيزابيل : **ياسمينة وقصص أخرى** تر، حسن دواس، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، سلسلة إبداعات عالمية ع 390، الكويت، 2012.
- (ـــــ،ـــــ): **عودة العاشق المنفي**، تر. عبد القادر ميهي،(دط)،مطبعة الوليد، الوادي- الجزائر،2006.
- (ـــــ،ـــــ): **تاعليث**، تر، عبد القادر ميهي، ط1، مطبعة ة مزوار، الوادي- الجزائر،2009.
- أندريه فوازان: **سوف مونوغرافيا**، تر، أبو بكر مراد، (دط)، دار المعرفة، الجزائر، 2016
- كوفي جستون: **مذكرات حول سوف والسوافة**، تر. عبد القادر ميهي، ط1، مطبعة الرمال الوادي- الجزائر،2016.
- عبد القادر ميهي(جمع وترجمة)، **الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم**، تر، عبد القادر ميهي، ط1، مطبعة مزوار، الوادي الجزائر،2015.

ثانيا المراجع

أ- المراجع بالعربية

1-الكتب

- بن علي محمد الصالح: **جماليات العمارة التقليدية في وادي سوف حي الأعشاش نموذجا**، ج2، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2014.
- سبتي معلم : **إيزابيل إبرهاردت اللغز الدائم** ، ط1، مطبعة عمار قرفي و شركائه باتنة ، الجزائر ،2012.

2-الرسائل الجامعية

- بن موسى موسى: **الحركة الاصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها1900-1939م،** (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف، أحمد صاري) في التاريخ جامعة منتوري-قسنطينة، 2005-2006م.
- دواس أحسن : **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، مقاربة سوسيو ثقافية** ، (مذكرة ماجستير في الأدب المقارن، إشراف، الأخضر عيكوس)، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008م.
- غنابزية علي: **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية1300-1347هـ/1882-1954م** (رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، اشراف، عمر بن خروف) في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2008-2009م.

3- الدوريات والندوات

- بوداود بلعرج : "إيزابيل إبرها ردت الفارسة ... عاشقة الثورة الجزائرية" ، **مجلة العربي الكويتية** ، العدد 558 ، ماي 2005.
- بوداود عمير: "إيزابيل إبرهاردت"، **جريدة الخبر**، الأربعاء 13 ماي 1992 ، الجزائر.

الملتقيات

- بن عزة محمود : "إيزابيل عاشقة سوف"، **ملتقى إيزابيل إبرهاردت** ، دار الثقافة الوادي 6-7 ماي .1998.
- عمراني عز الدين: "تأثير المحيط الثقافي الاجتماعي لمنطقة سوف على إيزابيل" **ملتقى إيزابيل إبرهاردت**، دار الثقافة، الوادي، 6-7 ماي 1998.

4- المواقع الإلكترونية

-http://ainsafra.blogspot.com

-Ouadisoufnew.bloogspot.com

المراجع بالأجنبية

1- الكتب

- Brahimi Denise: **L'oued et zaouia**, **lectures d'isabell Eberhardt**

office des publication universitaires, alger, 1983.

- CHarles –roux Edmonde **: nomade j'étais**, bernard grasset, paris 1995.

–Rochd Mohammed: **Isabelle une Maghrébine d'adoption**, office publicatin unversitaires, Alger.

2- الرسائل الجامعية

- Benzian Sabrina: **orient et occident dans les nouvelles d'Isabelle Eberbardt**, **le Major**, **yasmina**, **pleurs d'amandiers et la rivale** (mèmoire de magistère), université el hadj lakhdar, batna, 2008-2009.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل: وادي سوف جغرافيا وتاريخيا مطلع القرن العشرين ميلادي	07
الفصل الأول **بيوغرافيا إيزابيل إبرهاردت ورحلتها الى سوف**	13
مولد إيزابيل إبرهاردت ونسبها	13
نشأة إيزابيل إبرهاردت واهم محطات حياتها	15
وفاتها	21
أعمالها	23
رحلة إيزابيل إبرهاردت إلى سوف وخط سيرها	24
الفصل الثاني **الأوضاع الاجتماعية بسوف من خلال كتابات إيزابيل إبرهاردت**	28
سكان سوف	29
الممارسات اليومية لسكان سوف	33
المأكل	34
اللباس	36
الزواج	39
المرافق العمومية في سوف	41
المظاهر الحميدة في المجتمع	42
المظاهر السيئة في المجتمع	43
السياسة الاستعمارية ضد الأهالي	46
الفصل الثالث **الأوضاع الاقتصادية والثقافية في سوف من خلال كتابات إيزابيل إبرهاردت**	50
الأوضاع الاقتصادية	50
التجارة	51

الزراعة	51
التربية الحيوانية	52
الأوضاع الثقافية	52
العمارة في سوف	53
العمارة المدنية	53
العمارة الدينية	54
العمارة العسكرية	58
المظاهر الدينية والتعليم	60
جوانب من الطقوس الاجتماعية	62
خاتمة	67
ملاحق	72
بيبليوغرافيا البحث	82
فهرس المحتويات	86